العدد السابع

السنة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

# المسلمون

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٥٥

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

الاشتراكات

| | |
|---|---|
| ص | |
| ١٠٠ | عن سنة كاملة |
| ٦٠ | عن نصف سنة |
| للطلاب وجنود الجيش | |
| ٨٠ | عن سنة كاملة |
| ٤٠ | عن نصف سنة |
| ٢٥ | عن ثلاثة أعداد |

يضاف اليها أجرة البريد خارج القطر

رمضان سنة ١٣٧٣ — مايو سنة ١٩٥٤

## أمل ...

المسلمون فى حاجة إلى « أمل » !

هذه حقيقة يجب أن تضعها الحركة الإسلامية فى رأس منهاجها ، وأن تعطيها ما تحتاجه من جهد ورعاية : فإن الظلمات التى تكتنف حياة المسلمين قاسية أليمة ، والمصائب النازلة بهم شديدة الوطأة ، وطريق الخلاص أمام عامّتهم لا يكاد يُبين !

هذه الحاجة إلى « أمل » أحسست بها إحساسا ملأ نفسى وأنا أرى دموع الحيارى المعذبين فى المسجد الأقصى ، ودموع المستضعفين فى مسجد بيروت ، ومثل هؤلاء وأولئك إخوانهم فى كل أقطار الإسلام ، من الدار البيضاء المحتلة إلى جزر أندونيسيا المتعبة ... إنهم جميعاً فى محنة ، ومحنة الواحد منهم تعتصره فى خاصة شأنه كما تعتصر أمته فى كل شئونها ، وهو بين همّ عيشه وهموم أمته فى زلزال شديد ...

والأمم لا يحييها منطق العقل وحده ، ولا ينهض بها التذكير الجامد بالواجب الثقيل ... وحتى هذان لم يجدا رعاة « أمناء » يؤدون حقهما فى كل قطر من هذه

العدد السابع | السنة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

# المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٥٥

الاشتراكات
ص
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

رمضان سنة ١٣٧٣ | مايو سنة ١٩٥٤

## أمل ...

المسلمون فى حاجة إلى « أمل » !

هذه حقيقة يجب أن تضعها الحركة الإسلامية فى رأس منهاجها ، وأن تمطيها ما تحتاجه من جهد ورعاية : فإن الظلمات التى تكتنف حياة المسلمين قاسية أليمة ، والمصائب النازلة بهم شديدة الوطأة ، وطريق الخلاص أمام عامّتهم لا يكاد يُبين !

هذه الحاجة إلى « أمل » أحسست بها إحساسا ملأ نفسى وأنا أرى دموع الحيارى المعذبين فى المسجد الأقصى ، ودموع المستضعفين فى مسجد بيروت ، ومثل هؤلاء وأولئك إخوانهم فى كل أقطار الإسلام ، من الدار البيضاء المحتلة إلى جزر أندونيسيا المتعبة ... إنهم جميعاً فى محنة ، ومحنة الواحد منهم تعتصره فى خاصة شأنه كما تعتصر أمته فى كل شئونها ، وهو بين همّ عيشه وهموم أمته فى زلزال شديد ...

والأمم لا يحييها منطق العقل وحده ، ولا ينهض بها التذكير الجامد بالواجب الثقيل ... وحتى هذان لم يجدا رعاة « أمناء » يؤدون حقهما فى كل قطر من هذه

الأقطار ، وأصبح من الظلم البيّن أن نحكم على شعوبها حكما سهلا بالتفريط ، أو أن نيأس منها يأسا نقرنه حينا باللعنة على معانى الضعف والعبث فيها ، وحينا آخر بالاستهتار بكل بارقة أمل تحملها انتفاضه مفاجئه أو حركة نامية ! !

لا . . .

وأقول « لا » وتاريخ الأمم والشعوب كلها ماثل بين عينىّ ، وليس منها جميعها أمة أو شعب عاش عمره جادًّا من غير عبث ، بل ليس منها من خلا تاريخه من فترة تردّى فيها إلى درك لم ندركه نحن المسلمين بالرغم من كل ما فينا ، ثم إنه ليس منها من أنهضه من كبوته فكرة فيلسوف ، أو منطق حكم الكبير والصغير ؛ إنما هى العاطفة المشبوبة تبعثها دائما قلة واعية ، فتُطلق بها المواهب المكبلة ، وتحبب بها الواجب الثقيل ، وتهون بها العقبة الصعبة ، وتندفع بها فى غير منطق أحيانا ! !

وليس من حركة غيّرت وجه التاريخ إلا ووراءها مغامرة أشعلتها عاطفة لم يقدرها « العقلاء » قدرها إلا بعد أن رأوا ثمرتها ، وكفاهم الواقع — أو كفاها — شر العدّ والحساب ! !

أجل . . .

والقرآن الذى أنزله الله دعوة حارة تقتحم الأسوار الكاذبة إلى قرارة النفس ، وتُشعل فى هذه الأعماق جذوة الحياة ، وتوقد فى هذه الأعماق سراج الطريق ، وتقرر فى هذا النور وحده حقائق الحياة وتكاليف الطريق : « أوَ من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس » ؟ ، ونبينا صلى الله عليه وسلم — وهو سيد العقلاء — لبث فى مكة ثلاثة عشر عاما يخاطب هذه النفس . والكثرة الكاثرة من القرآن المكى آيات تزرع العقيدة ، والذين بادروا إلى الإيمان بها حول النبى لم يكونوا أعقل الناس فى عرف أهل مكة يومئذ ، بل إن أعداءهم قالوا : « أنؤمن كما آمن السفهاء » ؟ ، بل لقد بلغوا أن قالوا : « يا أيها الذى نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون » ! . وإن الحجاب الذى حجب حقائق الإسلام عمن كفروا به كان — ولا يزال دائما فى معركة الحق والباطل — حجابا أسدلته النفس المظلمة على العقل المبصر : « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » ، ولعمرى لو أنه لم يقل « التى فى الصدور »

لوجدنا من أدعياء التفسير الرشيد من يزعم أنه إنما عنى بها المقول على مذهب فى اللغة !

هؤلاء الذين دعاهم كفار مكة بالسفهاء ، هم الذين أصبحوا بعد أعوام قلائل عقل الجزيرة العربية الجديد فى التمييز بين الحق والباطل[1] ، وهم الذين صنعتهم عاطفة الإيمان صناعة جديدة ركزت فى حياة الناس العملية ما يسمونه « بالضمير » ويسميه القرآن تقوى الله ورعاية حدوده ، وهم هم الذين قوّضوا سلطان الجاهلية بكفاح مذهل ، رسم له العقل المؤمن خطته ، وصنعت له العاطفة المؤمنة عجائب الفتح الذى دوّخ الروم والفرس ، ونماذج التضحية التى تقشعر لها أبدان العقلاء ... والتى رأينا منها الرجل تُضرب يمناه بالسيف فتبقى معلقة بجلدتها فيطأطىء ليدوسها بقدمه ثم يتمطى كى يتخلص منها ويفرغ للقتال بيسراه ... ورأينا منها المرأة يصرع فى المعركة ابنها وزوجها وأخوها فتنساهم جميعا لتسأل : كيف فعل رسول الله ؟ !

* * *

وربما ظن ظان أننا أبعدنا عن معنى الأمل حين تحدثنا عن النفس والعاطفة والعقيدة ، والحق أننا لم نبعد قيد شعرة ، وإنما أتينا البيت من بابه ، ونشدنا الأمل من منبعه الأصيل ... ذلك أن الأمل الذى نعنيه ليس هو النزوة الطائرة التى تزينها الحماسة ، ولكنه الشعور النابض الذى تبعثه العقيدة ، وشتان بين هذا وذاك . إن معركة الحياة عند المؤمن هى المعركة بين الحق والباطل ، وهى معركة على عين الله حين يتميز طرفاها ، وليس بينه وبين النصر فيها إلا أن يوثق صلته بالحق ويصدق فى ذلك ؛ فإن هو فعل فقد وقف إلى جنب الله فى المعركة ، وشكّه فى النصر حينئذ هو شك فى الله لاريب ، وذلك معنى قوله سبحانه « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ؛ وفى صلة المؤمن بالله وعد قائم دائم بالمغفرة كلما أذنب ، وبالرحمة كلما أناب ، مهما كان ذنبه وتفريطه ! وجماهير المسلمين فى العالم كله لا تزال تنطوى على جذوة الإيمان بالرغم من كل ما تعانيه ، ولا تزال تبكى كلما ذكرها بالله داع أمين ، فإن نحن طرقنا قلوبها ، ونفخنا فى هذه الجذوة فيها ، وذكَّرناها بدينها الحق الذى لا يزال كما هو ، ودعوناها إلى طرْق باب رحمة الله التى لا تزال كما هى ، وناشدناها أن تنيب إلى الله إنابة جديدة ،

(١) هذه الجملة من وحى كلمات للرافعى رحمه الله فى « وحى القلم » .

وسقنا إليها وعد الله إن هي فعلت بالنصر والتأييد : مهما كانت قوى أعدائها لأن الله أقوى ، ومهما كان تفريطها فيما سلف لأن الله غفور ، وتلونا عليها في ذلك مثل قول الله: « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » ... فإننا بذلك نبعث أملا جيّاشا عميق الجذور ، ونطلق موجة عاتية تخشاها قوى الكفر كل خشية ، ونحيط الحركة الإسلامية بسوار عزيز من طوايا هذه الأمة المظلومة ، ونجعل لها مددا متصلا من خيارها وأبرارها ؛ وليس من حق « الدعاة » أن يقولوا : « لن يؤمن إلا من قد آمن » ...

ويكذب على هذه الأمة من يزعم أنها تتخلف عن مثل هذه الدعوة ، أقول ذلك وفي أعصابي دموع شهدتها ، ووميض أعين رأيتها ، وزفرات حارة سمعتها ، ومعالم ثروة مبعثرة تنقلت في أنحائها !

إن بعث هذا الأمل بسلطان العقيدة ، إلى جانب كونه أمراً قريباً إذا حاولناه ، وحقا صريحا لا نتكلفه ، فهو وحده السبيل الذي نحرر به المسلمين من أكثر أغلالهم؛ فإن الخرافة التي دُست باسم العقيدة لا يطاردها إلا العقيدة نفسها ، والخمول والغفلة اللذين شاعا باسم التوكل لا يبددها إلا تصحيح معنى التوكل في النفوس ، وشعور الـ ( لا مبالاة ) الذي قطع الأكثرين عن قضاياهم لا يعالجه إلا التذكير برقابة الله وبالمسئولية الشديدة بين يديه ، وبالعقاب الذي كتبه على المفرطين : خزيا في الدنيا وعذابا في الآخرة !

* * *

ولا أحب أن يفوتني هنا معنى ربما ذهب في غمرة السياق ، وهو أنه ما من أمة نهضت إلا ووراء نهضتها عاطفة مشبوبة تبعثها دائما قلة واعية ... هذه القلة الواعية هي ركيزة الأمل ، وهي الدليل والحادي ، وهي المفتاح للقفل الصعب ، وبقدر ثباتها على معاني دعوتها ، وبقدر إشراقها وفطنتها ، وبقدر قوتها وصلابتها ، يمكن للثروة المبعثرة أن تجتمع ، وللعملاق المصفّد أن يستوي على قدميه ، وللقفل الصعب أن ينفتح !

ومعنى ذلك أن تركيز هذه القلة وتربيتها ، واستعمال كل الوسائل في تهيئتها ،

يجب أن يظل الهدف الأمثل ، ويجب أن يكون الأساس فى بناء الغد المرتقب ؛ وما لم تنجح هذه القلة فى أن تكون مثلا صادقا لما تدعو إليه ، وأملا مرموقا للحيارى فى كل وطن ، ثم فى أن تقيم انفسها حصنا آمنا تأوى إليه ، وشاطئا مُوطّأ تنشر شراعها من عنده ، فإن هذه الآمال ستظل أمانىّ لا تجدى ؛ وليس الإيمان بالتمنى ! !

وثم شىء آخر يجب أن أضيفة هنا وهو أن كل خطوة قبل تهيئة هذه القلة المؤمنة لن تكون إلا مظاهرة لا تلبث أن تنتكس ، ولن تخلف وراءها إلا خيبة فى آمال عزيزة ، وعقبه كأداء فى سبيل كل أمل جديد ! !

* * *

وبعد ، فقد بقى أن أذكر مثلا حضرنى أثناء الكتابة ، وهو مثل كان يردده باعث هذا الجيل الجديد ، الإمام الشهيد حسن البنا ، رضوان الله عليه . . . كان يقول : أريتم إلى قاطرة السكة الحديدية . . حين يراد تحويلها من قضيب إلى قضيب ، أرأيتم عامل التحويل يحاول أن يرفعها من أحدها إلى الآخر ؟ . . . لا . . . ولكنه يحرك لسان القضيب بعصا حديدية فى يده ، أو بآلة موصولة بلسان القضيب . . . كذلك الأمم لا تُحمل حملا من طريق إلى طريق . إن عصا التحويل هى الإيمان ، وإن لسان القضيب هو قلوب الناس . . . ولن تلبث حركة اللسان أن توجه القضيب ، وأن تحوّل الأمة من حال إلى حال . لذلك فشل الزعماء الذين حاولوا الإصلاح بمعالجة ظواهر الأمور ؛ بينما نجح الأنبياء فى تحويل حياة أممهم تحلايلا حقيقاً حوّل النفوس والرؤوس ؛ والأوضاع دائما لهذين تبع !

شىء واحد أحب أن أضيفه هنا . . . وهو أن يكون سائق القاطرة أمينا بصيراً بالطريق ، وأن يكون معه زاده الحاضر المذخور من الوقود .

سيد قطب

حديث رمضان :

# تصحيح الجهاد

لسماحة الشيخ محمد البشير الإبراهيمى
رئيس جمعية العلماء بالجزائر

لم تُبتذل كلمة عربية مثل ما ابتذلت كلمة « الجهاد » على ألسنة هذا الجيل فى الشرق الإسلامى ، فلعلها أصبحت أكثر الكلمات دوراناً على الألسنة ، وسيرورة فى الأفواه ، ووصفا بها لكل غاد ورائح ، ومع هذا الدوران الكثير لا توجد كلمة أفرغ من معناها منها .

والكلمات الفارغة من المعانى كالأجساد الفارغة من الأرواح : تلك كلمات ميتة وهذه أجساد ميتة ، وما كانت الأجساد نافعة إلا بالأرواح ، ولا تكون الكلمات صادقة إلا بتحقيق معانيها فى الخارج . والأرواح فى الأجساد ، والمعانى للألفاظ هما معنى الحياة وما تستتبعه من آثار .

تساهلنا فى هذه الكلمة ومشتقاتها حتى أصبحنا نطلقها على كل عمل سخيف ، ونصف بها كل عامل ضعيف ، واستطابها العجزة القاعدون منا فأصبحوا يطربون لوصفهم بها ، ويبذلون الكرائم لتحليتهم بوصفها ، وملك التساهل على الألسنة والأقلام أمرها فأصبحت تضع هذه الكلمة وغيرها فى غير موضعها ، وتجود بها على غير مستحقيها .

أتدرون لماذا يغضب الناس من وصفهم بالمكروهات ولو كانت موجودة فيهم ، ولا يغضبون لوصفهم بالمحبوبات إذا كانت مفقودة منهم ؛ فالبخيل المِسِّيك يأنف أن يوصف بالبخل ويطرب إذا وصفته بالكرم ، والجبان الرعديد يغضب أن يوسم بالجبن ، ويرتاح إذا وصفته بالشجاعة .

علة العلل فى ذلك هى ضعف التربية الأخلاقية فينا معشر الشرقيين ، وبُعد المسافة

بين القول والعمل عندنا ، واختلال الموازين العقلية فى تقديرنا ، ونسياننا للواقع حين نتناول الأشياء بالوزن والمقارنة . إن هذه النقائص تبتدئ فى الفرد فلا يظهر أثرها ، ثم تنتقل إلى المجموعات فتبرز آثارها السيئة ؛ فتكون بلاء وشرا وخضوعا واستسلاما .

ولقد مرت من تاريخ الإسلام حقب صالحة كان السلطان فيها للفضيلة ، فصحّت الموازين ، وعرفت القيم ، فكان الواحد من أولئك القوم يرى من أبلغ السب أن تمدحه بما ليس فيه ، ثم هجمت علينا الرذائل يقودها الغرور والأنانية والمبالغة فأفسدت علينا تربيتنا النفسية ، وجر شىء إلى أشياء حتى انتهينا إلى هذا الانحطاط الخلقى الذى نرى آثاره ، ونتجرع مرارته .

الجهاد — أيها المسلمون — لفظ قليل ، تحته معنى جليل ، هو صرف القوى الروحية والعقلية والفكرية ، تظاهرها القوى المادية ، إلى تحقيق غرض مما ينفع الناس . ويتفاوت شرف الجهاد بتفاوت ذلك الغرض فى النفع ؛ فإذا لم يكن للجهاد غاية ولم يكن فيه نفع كان جهدا ضائعا وسعيا عقيما ، أما إذا كان وصفا تطلقه الألسنة كما هو واقع فى زماننا هذا فهو نفاق يصطنعه الطامعون ، وتزوير يتملق به الفارغون ، وشوقى يقول : إذا كثر الشعراء قلّ الشعر ، ونقول على وزنه : إذا كثر المجاهدون قل الجهاد.

تكررت فى النصوص القرآنية كلمة ( الجهاد بالنفس ) فى معرض الأوامر التكليفية . والأوامر الدينية بمعانيها الكاملة إنما تتوجه إلى أصحاب النفوس الكاملة التى اطمأنت للإيمان بالله ، والإيقان بالحق الذى يدعو إليه ، والرضا بأحكامه الدينية والقدرية ، وجعل الحياة المحدودة مطية للحياة الخالدة . وما وصل أصحاب هذه النفوس إلى هذه الدرجة من الكمال إلا بعد جهاد فى النفس ، هيأها للجهاد بالنفس ثم دفعها إليه .

فأعلى مراتب الجهاد وأصله الذى تتفرع منه فروعه هو الجهاد فى النفس حتى تستقيم على صراط الحق والفضيلة ، وتستعد لما بعد ذلك من أنواع الجهاد الخارج عن النفس .

والنفس البشرية كسائر الكائنات الحية يجب أن تُتعاهد بالتربية الصالحة ،

وتراض على الفضائل والـكمالات وإن شقّت ، حتى ترجح قابليتها للخير على قابلية الشر ، وكل هذا يفتقر إلى جهود ، فهو جهاد فيه كل خصائص الجهاد بمعناه الخاص الضيق ، ويزيد عليه بأنه أصله وأساسه ، وقد وردت الآثار بتسميته (الجهاد الأكبر). والمعلم والمربى لا يغنيان فى هذا الباب ما يغنى صاحب النفس ، فهو أقدر على كبح جماحها ، ومراقبة دخائلها ، وضبط أنفاسها ، وتنظيم خواطرها ، وقمع نزعاتها الباطلة وحظوظها السافلة ونزواتها الشهوانية ، وإفاضة النور المبدد للظلام فى جوانبها .

أيها المسلمون : إننا لا نَصْدُق الجهاد فى عدونا الخارجى إلا إذا صدقنا — قبل ذلك وتوطئة لذلك — الجهاد فى نفوسنا التى بين جنوبنا ، جهاداً يصفى أكدارها ، ويطهرها من المطامع الدنية والأغراض السخيفة ، والشهوات الحيوانية ، حتى إذا لقينا العدو الخارجى لقيناه بنفوس مطمئنة ، وبصائر مستنيرة ، وعزائم مصممة ، وقلوب متحدة على غاية واحدة ، يسوقها سائق نفسانى واحد قبل سائق العلم والنظام ، وتدفعها قوة نفسية واحدة قبل دافع المادة والآلة . إن النظام والآلة والعلم كلها مكملات تأتى بعد إعداد النفوس .

وإننا لا ننتصر على العدو الخارجى حتى ننتصر على العدو الداخلى وهو نفوسنا ، فلنبدأ بها ؛ فمن سنة القتال « قاتلوا الذين يلونـكم » .

الطمع وحب الجاه والغرور والحسد والأنانية والبغضاء والحقد والبخل . . كلها نقائص فى نفوسنا يجب أن نطهرها منها ، وكلها مداخل لعدونا يأتينا منها ، فيجب أن نسدها عليه ، وَلَهِىَ — والله — أضر علينا من ثغورنا المفتوحة فى وجه العدو .

إن أعداءنا الذين ملـكوا رقابنا واحتلوا أوطاننا وساموما الذلة والهوان واستعبدونا شر استعباد ، إنما استعلوا بأخلاقهم القوية على أخلاقنا الضعيفة ، ثم استعانوا بنا علينا ، فمتى طلبوا خائنا لوطنه منا وجدوا العشرات ، ومتى التمسوا جاسوسا يكشف لهم عن أسرارنا ويدلهم على عوراتنا وجدوا المئات ، ومتى التمسوا ناعقا بالفرقة فينا أو ناشرا للخلاف بيننا وجدوا الآلاف ، ومتى أرادوا حاكما منا على على أن يسمع لهم ويطيع ويبيعهم مصالح بلاده وجدوه فوق ما يريدون ؛ وما ذلك إلا لأن نفوسنا أنهكتها الرذائل وتحيّفتها النقائص .

أيها المسلمون : هذا شهر رمضان وهو المدرسة الإلهية التى تعلم الجهاد فى النفس ، وهو الميدان الذى تجرى فيه التمرينات القاسية والإعداد الكامل والامتحان الشامل ، فإما نجاح فى جهاد النفس يخرج صاحبه بشهادة ( قوة الإرادة ) و ( صدق العزيمة ) ، وإما إخفاق يحمل صاحبه شارة العبودية والهزيمة .

إن قوة الإرادة هى التى ملكت زمام العالم فيما ترون وتسمعون ، وإن قوى الإرادة هو الذى لا يدع المجال لشهوات النفس وملذاتها الزائلة أن تنزل به عن مقامات العزة والسيادة والشرف ، إلى مواطن الذل والعبودية والضعة .

وإن صوم رمضان جهاد أى جهاد فى النفس التى هى مصدر الملكات كلها ، لأنه هَجْرٌ للشهوات المستولية على البطون والفروج والألسنة ، وقمع لأضرى الغرائز الحيوانية ، وترويض على الإحسان والبر والرحمة ، واشتراكية سلبية بين الأغنياء والفقراء فى أخص خصائص الفقر وهو الجوع ، وتجويع جبرى يذوق به الناعم طعم الخشونة ، والواجد طعم العُدم ، والمبطان ألمَ الجوع ، ليعرف من هذا الدرس العملى السنوى مايقاسيه الجيّاع الطاوون . ولو أن مواعظ الوعاظ كلها سكبت فى أذن الغنىّ المنعَّم الذى لم يجع فى حياته ، واصفةً له الجوع وآلامه وما يلقاه الجائع المحروم من ذلك — لما بلغت من نفسه عشر ما تبلغه جوعةُ يوم طويل ، لأن كلام الوعاظ مهما يبلغْ من التأثير لا يَعْدُ أن يكون تصويراً ينتج التصور ، أما الجوع الحقيقى فإنه تطبيق وتصديق ؛ ومن لم يذقْ لم يعرفْ .

ليس لله حاجة فى أن ندع الطعام والشراب فى هذا الشهر وإنما له فى ذلك حكمة عالية ، وهى أن نجاهد أنفسنا ونروضها على تحمل المكاره ، ونرغمها بهجر شهواتها المألوفة وقمع نزواتها الطاغية لترقى من كثافة المادة إلى لطافة الروح ، وأن نُقوِّىَ بذلك إرادتنا فى شهر لنستعملها قوية فى جميع الشهور .

إن الصوم يُقوِّى الروحانية ويُغذِّى الفضائل ويشد العزائم ، ويغرى الفكر بالسداد والإصابة ، ويربى الإرادات على الحزم والتصميم . وإن حياتكم اليوم حرب لاتنتصر فيها إلا الأخلاق المتينة ؛ فاجعلوا من رمضان ميداناً زمنيا للتدريب على

المغالبة بالأخلاق تنتصروا على عدوكم ، فتُخرجوا هيبته من قلوبكم ، ووسوسته من صدوركم ، وجيوشه من بلادكم .

إن عدوكم يعتمد على متانة الأخلاق قبل اعتماده على الحديد والنار ، فأعدّوا له أخلاقا أمتن تفُلّوا حديده وتطفئوا ناره .

إن عبيد الشهوات لايتحررون أبداً ، فلا تصدِّقوا أن من تغلبه شهواته يستطيع أن يغلب عدواً فى موقف .

ابدأوا بتحرير أنفسكم من نفوسكم وشهواتها ورذائلها ؛ فإذا انتصرتم فى هذا الميدان فأنتم منتصرون فى كل ميدان .



قال قائل لإياس بن معاوية ( توفى سنة ١٢٢ هـ ) : لم تعجل بالقضاء ؟ .

فقال إياس : كم لكفك من إصبع ؟ .

قال : خمس .

قال : عجلت .

قال : لم يعجل من قال بعدما قتل الشيء علماً ويقيناً .

قال إياس : فذلك جوابى .

# الجهاد

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٢)

١ — إن الجهاد شريعة محكمة ، وقد قلنا فى العدد السابق إن الجهاد له أسلحة ، وعدة وذخيرة ؛ وإن أول أسلحته نفس المجاهد التى تـكون بين جنبيه ، وقلبه الذى يبعثه عليه ، ونيته التى يحتسبها عند ربه ، قلنا ذلك وأفضنا فيه ، وذكرنا أن أول عناصر القوة قائم فى النفس وكفاح أهواء النفس ، فإن ذلك هو الجهاد الأكبر ، وهو عدة للجهاد الأصغر ، وذخيرة من ذخائره ، وسلاح من أسلحته .

وإنه من أسلحة النفس التى يدرع بها المؤمن عند اتجاهه إلى الجهاد أن يؤمن بأنه يجاهد فى سبيل الحق لإعلائه ، وأنه لايبغى به علواً فى الأرض ولافساداً ، ولايريد سيطرة باطلة أو غلابا ؛ ولايريد به إذلال النفوس ، وإرهاق الأجساد ؛ ولذلك ما أساغ الإسلام القتال لشهوة النفوس ، ولا السلطان فى الأرض ، بل إن القتال لم يكن عقاباً على الشرك والـكفر ، والجحد بآيات الله ، وقد استيقنتها أنفسهم ، لم يكن القتال لذلك ، لأنه لايعتبر الـكفر مبرراً للقتال باعثاً عليه ؛ لأن الهداية بيد الله تعالى يهدى من يشاء ؛ وهى رحمته يختص بها من يشاء ؛ ولقد عتب رب العالمين على رسوله الأمين عندما وجده حفيًّا بإيمان الذين خالفوه ، فقد قال سبحانه : « إنك لاتهدى من أحببت ولـكن الله يهدى من يشاء » ولأن القتال لأجل الـكفر عقوبة دنيوية على الـكفر ، ولا تخلو من إكراه ، والله تعالى يقول : « لا إكراه فى الدين قد تبيّن الرشد من الغىّ » .

٢ — لم يكن القتال لهذه البواعث النفسية ، ولـكن كان القتال فى الإسلام لثلاثة بواعث ، وهى : دفع الاعتداء ، ومنع الفتنة فى دين الله ، ثم فتح السبيل

أمام الدعوة المحمدية ، فلا يكون الطغاة والجبابرة الذين كانوا يحكمون العالم فى ذلك الزمان محاجزين دون الدعوة يردونها ، ولا يمكنونها من سيرها إلى أقصى غاياتها ؛ ثم بعد ذلك كان الباعث على القتال دفع المظالم المرهقة التى كانت تفرضها قوة الطغاة على المحكومين ؛ فتذيقهم عذاب الهون ، كما كان الشأن فى فارس وفى مصر ، وغيرهما من البلدان التى كان الجهاد العربى الإسلامى لها رحمة بأهل البلاد ، وبردا وسلاما عليهم ، حتى لقد قال كتّاب أوروبا : « إن العالم لم يعرف فاتحا أرحم من العرب » وإنه من التسامح فى التعبير أن يقول قائل : إن العرب المسلمين كانوا فاتحين ؛ إنهم بالأحرى كانوا منقذين ناشرين للواء الأمن والسلام ، بعد أن فرضت القوة الذليلة الغاشمة الرق على المستضعفين من الشعوب الذين لا حول لهم ولا طول ، ولا مغيث ، ولا منجاة إلاّ إذا كانت من رب العالمين .

٣ — فما كان الجهاد عند المسلمين الأولين فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، والصحابة الأكرمين لغرض مادى ؛ بل كان الجهاد لتلك البواعث الشريفة ولتلك الغايات الإنسانية العالية ؛ ولذلك كانوا متسلحين بقوة النفس ، وبقوة الباعث السامى الكريم ، كما كانوا مسلحين بتأييد الله العليم الخبير « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » .

وإذا كانت تلك البواعث العالية قوة من القوى التى انتصروا بها ؛ فمن الحق علينا أن نتكلم كلمة مجملة فى كل باعث من هذه البواعث ؛ وآثاره فى حَدِّ القتال وبيان رسومه وأشكاله .

٤ — أما الباعث الأول ، وهو دفع الاعتداء ، وهو الدور الأول للجهاد فى سبيل الله ؛ فإن الاعتداء قد وقع على النبى صلى الله عليه وعلى أصحابه منذ أن دعا إلى ربه ؛ فقد اضطر فى أول أمره لإخفاء الدعوة ؛ لأن المشركين منعوه من أن يعلنها ، وأخذ أهل كل بيت من المشركين يسومون من يسلم منه أشد العذاب ، حتى إن عمر وهو فى الشرك لم يدخل الإيمان قلبه يضرب أخته حتى يدميها لأنها دخلت فى الإسلام ، ولم يكف يده عنها إلا رؤيته الدم يسيل منها ، فرقّ قلبه رقة فتح الله بها مغاليق نفسه ، فكان الإيمان ، وكان الينبوع الصافى والنور المشرق ، والقوة الجاهرة فى دين الله ، والعبقرى الذى لم يُفْرِ فَرْيَه فى الإسلام أحد .

حتى إذا كثر العدد كثرة نسبية ؛ وكان فى المسلمين البطلان عمر وحمزة أسد الله ، خرج المسلمون من بيت الأرقم بن أبى الأرقم صفين ، على أحدهما الفاروق ، وعلى الآخر أسدالله ، عندئذ صار الأذى يصدر عن الجماعة كلها ، لاعن الآحاد ، وصار مجرد الإسلام ذريعة للنكال ، ومسوغا للإيلام ، حتى إن بعض المسلمين ليكوى وركه ظهره بالنار ، وإن آل ياسر ليرهقون فى إيمانهم عسرا ، ولايترك أعداء الله سبيلا للأذى إلاسلكوه فيهم ، وإن النبي ليمر بهم فيقول ، وهو يصابر نفسه : « صبرا آل ياسر ، صبرا آل ياسر » فعمّ الأذى كل المسلمين ، ولم ينج منه إلا ذوو البطش القوى مثل عمر بن الخطاب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وخص الأذى الضعفاء من أهل الحق ، فكانت الفتنة المرهقة التى حاولوا بها فتن المسلمين فى دينهم ، وأكرهوا من أكرهوا على النطق بالكفر وقلبه مطمئن بالإيمان .

ثم استرسل أولئك المشركون فى الأذى حتى هموا بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا ماذكره سبحانه بقوله تعالى : «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليُثْبِتوك أو يقتلوك ، أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

ولما اضطر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة إلى المدينة ، هو ومن معه ، لم ينقطع الاعتداء ؛ بل استمر ، وأخذوا يؤلبون البلاد العربية عليه ، وحاولوا أن يجمعوا الشرك كله ليستأصلوا الإسلام من تلك البلاد التى أشرق فيها نوره ؛ وأضاء فيها مصباحه المنير .

٥ — هذه إشارة إلى الأذى الذى حل بالمسلمين ، والفتنة التى صهرت إيمانهم ، والاعتداء المنكر الذى حل بهم ؛ فهل يسكت أهل الحق ، وقد استشرى الكفر واعتدى ؟ إن الإسلام ليس دين الاستسلام ، وإن كان دين السلام ، فإن الاستسلام والإسلام نقيضان لايجتمعان ؛ وليس السلام الذى يدعو إليه هو السلام الذليل الخانع ، بل هو السلام العزيز القوى القاهر لكل اعتداء ، هو السلام الذى يخضد شوكة الباطل ويخضمه ، أو يكف أذاه ، وهو السلام الذى يكْنُفُ حرية الاعتقاد ، وحرية الفكر ، والرأى ، وحرية التعبير ، وحرية الشعوب ، ويمنع الظلم ويجتثه من جذوره ، ويفرض المساواة العادلة لكل بنى الإنسان ، ويهيىء الفرص لحياة سعيدة لكل إنسان ، لا يفرق بين جنس وجنس ، وقوم وقوم ، ولون ولون .

٦ — وإذا كان ذلك سلام الإسلام ، فلابد أن يرد الاعتداء ، لا أن يسامح المعتدى ؛ ولذا أمر الله سبحانه المسلمين بقتال المشركين ورد اعتدائهم ، من غير أن يقع المسلمون فى اعتداء جديد ، ولذا قال تعالى :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ، حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ، الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

هذه آيات من آيات القرآن الكريم فى القتال ، وإنه ليؤخذ منها القانون العادل للقتال ، بل إنه أمثل قانون للقتال رأته الإنسانية ؛ إنها تَحُدُّ الابتداء والانتهاء ، وتحد الداعى والغاية ، فسبب القتال هو الاعتداء والفتنة فى الدين ، ابتدأ بوجودها ، وينتهى بانتهائهما ، هما اللذان سوغا القتال ، وهما اللذان يُنهيانه « فإن انتهوا فلاعدوان إلا على الظالمين » .

٧ — وإذا كانت الآيات الكريمة هى التى حدَّت القتال بابتدائه وانتهائه ، فهى التى بيّنت قانونه كما نوهنا . وهذا القانون يتجه إلى تقرير ثلاثة أمور : أولها المعاملة بالمثل ؛ فإن انتهك العدو حرمة من الحرمات واتخذ من عمله ذريعة للكيد والأذى لايصح أن يستسلم المسلمون ، ويتركوه يضرب وهم ساكتون بحكم احترامهم لهذه الحرمات ، وإلا كان ذلك تمكيناً للشر ، وكانت الحرمات مقيدة للمسلمين دون غيرهم ، ومؤيدة دولة الباطل ؛ فإن قاتل المشركون فى المسجد الحرام يقاتل المسلمون ، ولكن لا يبدأ المسلمون ، ولذا قال سبحانه : «ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم» فلا تبادروهم أنتم بانتهاك حرمة بل ادفعوا شرهم إن ابتدءوا هم بهذا النوع من الشر . وإن قاتلوا فى الشهر الحرام ، فعلى المسلمين أن يقاتلوهم ، والأشهر الحرم هى : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم .

ولقد قرر الله سبحانه تلك القاعدة الجليلة فى الحروب بجملتين ساميتين محكمتين ، وهما قوله تعالى « والحرمات قصاص » وقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » فهاتان الجملتان تقرران قانون المعاملة بالمثل فى أحكم تعبير ، وإن الأولى منهما تقرر أن الحرمات فى احترامها تكون بالمساواه ، فإن احترموا حرمة من الحرمات احترمها المسلمون ، بل إن احترامهم لها يكون أشد ، وإن انتهكوها فى جانب المسلمين انتهكها المسلمون فى جانبهم ، وإن استرقوا المسلمين استرقهم المسلمون وهكذا ؛ يحاربون بالسلاح الذى يختاره المعتدون وبالمعاملة التى يسنونها .

٨ — هذا هو الأمر الذى يبدو أن الآية الكريمة تقرره فى القتال ، أما الأمر الثانى فهو أن القتال إذا فتح بابه لايتقيد بمكان ولا بزمان ولا بحال إلا مايكون حرمة من الحرمات ؛ فإنه يقيد أهل الإيمان بها حتى ينتهكها المعتدون ؛ ولذا سوّغ سبحانه وتعالى كل طرق الغَلب ، من غير أن يخرج المسلمون عن نطاق الحق العادل إلى الاعتداء ، فإنهم يكونون إن خرجوا قد حادوا عن الجادة ، وتجاوزوا الحد ؛ فإنه إذا انفتح باب القتال لم تمد له حدود مقيدة إلا مايكون خروجاً عن التدبير المحكم ، والخطط القويمة ، وأساليب الغلب ، ولذا قال تعالى بعد فتح باب القتال : « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » .

٩ — والأمر الثالث الذى تقرره الآية فى القتال هو التقوى فى القتال ، وإن التقوى فى القتال هى التى تقيد قانون المعاملة بالمثل ؛ لأن المشركين قد يقتلون النساء والذرية وقد يمثّلون بالقتلى ، فهل يسوغ للمسلم أن يصنع صنيعهم ، إنهم أهل جاهلية ، وعصبية حاقدة ، فهل ينهج المسلمون مناهجهم ، ويفـكون شكائم الأخلاق ، ويحلون مواثيق الفضيلة ؟ هنا يجيء الأمر بالتقوى ناهيا عن ذلك الطريق ، ولذا ختم الله سبحانه وتعالى آيات القتال التى تلوْناها بقوله تعالى « واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

إن القتال فى الإسلام صورة مثالية للتنازع الآدمى الذى تُمتشق فيه السيوف ، والذى يستمسك فيه أهل الحق بالفضيلة فى قتالهم ؛ لأنه تنازع الخير مع الشر ، وتنازع الفضيلة مع الرذيلة ، وتنازع الحق مع الباطل ؛ ولا يصح للخير فى هذا النزاع أن يتخلى عن خواصه ، وإلا كانت الحرب باطلا فى باطل .

١٠ — وإن وصايا النبي صلى الله عليه وسلم في قتاله ، ووصايا الصحابة تتجه إلى الاستمساك بالفضيلة الإسلامية في القتال ؛ وجعل قانون الأخلاق الفاضلة مسيطراً في أثنائه ؛ لأن الخواص الإسلامية العالية يجب أن تظهر في كل أعمال المسلمين ، ولو كان ذلك في مشتجر السيوف ، ولذلك ورد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة فقال : « إياكم والمثلة ولو بالكلب » مع أن المشركين كانوا يمثلون بقتلى المسلمين ومثلوا بأحب أقارب النبي صلى الله عليه وسلم الأدنين ، وهو عمه حمزة ابن عبد المطلب . ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعاملهم بالفضيلة ، ويعاملونه بالرذيلة ، فما كان عليه السلام لينساق وراءهم في استباحة ما يستبيحون ، ما دام ذلك لا ينصرهم في قتال ، ولا يرجحهم في نزال ، وإنما هي أضغان القلوب تظهر في الأعمال .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي جيوشه بألا يقتلوا شيخاً فانياً لا رأى له في القتال ، ولا امرأة ، ولا الذرية ، وهذا قوله عليه السلام في إحدى وصاياه : « انطلقوا باسم الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخاً فانيا ولا طفلا ، ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم وأصلحوا ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » .

ومر عليه السلام بامرأة مقتولة ، فقال غاضباً : « ما كانت هذه لتقاتل » .

١١ — وهكذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقاتل مستمسكا بالفضيلة ، ويدعو المسلمين إلى ذلك ، حتى لا يكون في سيوفهم رهق ، فيضعوها في موضع السقم والبرء ، ولقد كانوا لرحمة نفوسهم ولقوة إيمانها ولفرط احترامها للإنسانية يكرهون القتال ، ولا يتقدمون إليه إلا للضرورة ، ولكنهم إن تقدموا كانوا الليوث الكواسر التي لا تهاب الموت ، ولذا قال تعالى في شرعية القتال : « كُتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم . والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

١٢ — وقد يقول قائل : هذا شأن المشركين قد اعتدوا على المسلمين وآذوهم وفتنوهم عن دينهم ، ولم يتركوا باباً من أبواب الشر إلا ارتكبوه معهم ، فما بالهم قاتلوا المجوس والنصارى واليهود وغيرهم ، وأولئك لم يكن منهم اعتداء ولا ابتداء بحرب ؟ .

وإن الجواب عن ذلك أن قتال اليهود كان للاعتداء ، ولكنه كان اعتداء من لون آخر ، كان نكثا للعهد ، وموالاة للعدو ، واشتراكا مع المشركين فى التأليب على المؤمنين ، وقد ارتبطوا بعهود مع المسلمين أن يكون أمنهم أمن المسلمين ، وسلامهم سلامهم ، فنكثوا فى العهد ، وخاسوا فى الذمة .

وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة ، وقد جاور اليهود وخالطوه عاملهم بالتى هى أحسن ، وعاهدهم معاهدات ملزمة لطرفيها ، فأوفوا بها والمسلمون فى أمن ، حتى إذا اشتدت الشديدة ، وهوجم المسلمون كانوا عليهم عيوناً ، وهمّوا بالمؤمنين فى غزوة أحد ، وما إن انتهت حتى ردّ المسلمون بتأييد الله كيدهم فى نحورهم ، فاقتص الله من بنى قريظة الذين خانوا فى عهودهم ، وكذلك كان الأمر فى غزوة الخندق إذ تجمع الأحزاب ، وتكاتفت جموع الشرك كله ، وأرادوا المدينة ليزيلوا الإسلام وأهله ، فمالأهم بنوا النضير من اليهود ، وصارت المدينة الفاضلة عرضة للغزو من الأمام والخلف ، وبثّ المنافقون روح الهزيمة والشك فى نفوس الضعفاء من المؤمنين ، حتى لقد قال تعالى فى وصف ذلك : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا » وأى اعتداء أبلغ من هذا وأنكى ، وأشد وأدهى ؟ إنه الاعتداء الخبيث اللئيم الذليل الخائن .

وأما النصارى فقد كانوا بالبلاد العربية على وداد ومحبة مع المسلمين ، ولكن حدث فى الشام أن دخل فى الإسلام طوائف من النصارى فاضطهدهم الروم وأمراؤهم وحاولوا فتنهم عن دينهم ، فكان لا بد من رد الاعتداء ، فكانت حرب الروم ؛ وجهز جيش أسامة لغزو الروم لهذا الاعتداء الآثم ، وللمظالم التى ارتكبوها فى رعاياهم .

وأما المجوس ، فلأن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام فأرسل من يقتله عليه السلام فكانت الفجرة التى ليس وراءها فجرة ، وفوق ذلك فقد كانت مظالمه على قومه بلغت أقصاها .

١٣ — هذا هو الباعث الأول على القتال وقد رأيت الاعتداء على المسلمين لا يزال من كل جانب ، أما المشركون فقد آذوهم أولاً ، ثم هاجموهم فى عقر دارهم ثانياً ،

ثم ألَّبوا العرب عليهم جميعاً ثالثاً ، ثم منعوهم من البيت الحرام يحجون إليه رابعاً . والروم قد حاولوا أن يفتنوا المسلمين عن دينهم ؛ فقتلوا بعض المسلمين فى دولتهم . والمجوس حاول ملكهم أن يقتل الرسول عليه السلام ، فأحاط بالمسلمين أعداء الحق المعتدون إحاطة الدائرة بقطرها ، وهى دائرة من حديد لا يَفُلُّها إلا حديد مثلها ، فكان لا بدّ من القتال ، وكان الإذن بالقتال : « أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدِّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرنَّ الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

١٤ — ولنرجىء الكلام فى الباعثين الآخرين إلى مقال آخر ، ولكن يجب أن يُعلم أن القتال فى الإسلام لم يخلع عن المسلم تقواه وفضيلته ، بل كانت الحرب الفاضلة يتسربل فيها المقاتلون سربال التقوى ، حتى لقد وصفهم عين للروم فقال : « وجدت قوماً رهباناً بالليل ، فرساناً بالنهار ، والله لو سرق ابن ملكهم لقطموه ، أو زنى لرجموه » .

ولما التقى الجمعان فى واقعة اليرموك وانهزم الروم ، قال هرقل لجنده : « ويلكم أخبرونى عن هؤلاء الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشراً مثلكم ؟ قالوا بلى . قال فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا بل نحن أكثر منهم أضعافاً فى كل موطن ، قال فما بالكم تهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ، ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون فيما بينهم . ومن أجل أننا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغصب ، ونظلم ، ونأمر بالسخط ، وننهى عما يرضى الله ، ونفسد فى الأرض . فقال هرقل : أنت صدقتنى » .

هذا حال المسلمين الأولين أفنحن مثلهم ؟ اللهم هيىء لنا من أمرنا رشدا .

———

# الانحراف عن العقيدة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

## (٣)

والانحراف عن العقيدة قد يكون له أحيانا — كثيرة بكل أسف ! — ناحيته الخطيرة فى عقيدة الفرد وحياته ، وفى حاضر الأمة ومستقبلها . وهذا الانحراف ، فى نفسه ، وفى آثاره السيئة ، قد يكون على ضربين إيجابى أو سلبى ، ونرى أن بعض هذا يحتاج إلى بيان .

ذلك ، بأن من الدعامات التى تقوم عليها الأمة من الأمم أن تكون لأبناء هذه الأمة عقيدة وطنية قومية ، وهذه العقيدة تقوم على الإيمان إيمانا ثابتا لا ريب فيه بعلو جنسهم وحضارتهم وتقاليدهم .

فهم إذاً يستمسكون بهذه العقيدة ، ويصدرون عنها فى كل أعمالهم كأفراد أو جماعات أو أمة ، ويحاولون تثبيت هذه العقيدة فى قلوب الناشئة بكل سبيل ، بل إنهم يعملون على أن يؤمن غيرهم من أبناء الأمم الأخرى بما يؤمنون به ، ليكون من اليسير عليهم بعد ذاك ضمهم تحت لوائهم ثقافيا ، وربما سياسيا أيضاً .

يقوم الإسلام — على ما نعلم جميعا — على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتقوم الحضارة الإسلامية على دعامتين رئيسيتين : كتاب الله المحكم ، وسنة رسوله الصحيحة . وقد ظهر الإسلام الذى رضيه الله لنا دينا والعرب ، بل العالم كله ، فى أشد الحاجة إليه ؛ فآتاهم العقيدة الحقة بعد أن كانوا منها فى أمر مريج ، والشريعة الصحيحة بعدطول ما عصفت بهم الأهواء ، والنظم الصالحة لبناء أمة قادرة على أن تسهم فى بعث العالم ونهضته ووحدته .

ولن يكون المسلم مسلما حقا ، صحيح العقيدة فى دينه إلا إذا آمن بذلك كله ؛ آمن

بأنه على خير دين ، وأنه أوتى خير كتاب إلهى ، وأنه من خير أمة أخرجت للناس ؛ وأن حضارته صلحت بها الإنسانية عامة قرونا طويلة ، ولا تزال صالحة لقيادة العالم إذا وجدت رجالا !

فإن لم يكن المسلم على هذه العقيدة بنواحيها العديدة ، فهو غير كامل الإيمان ، بل هو على عقيدة منحرفة قليلا أو كثيراً ، وبمثله لا يتقدم المسلمون بل يتأخرون . وما أكثر ما نجد من هؤلاء فى هذا الزمان ، ومنهم من يزعم مع هذا أنه مؤمن تام الإيمان !

لا ، أيها الناس! إن العقيدة أمر فى القلب حقا ، ولكنها تعرف بما يصدر عن الإنسان من قول وعمل ؛ والقول إذا لم يصدقه العمل يصبح قولا كاذباً خادعا لاقيمة ولاحقيقة له . وقديما كان فريق من الناس يقولون بأنهم من المؤمنين ، وكان الله الذى يعلم السر وأخفى يزيل عنهم ستره فإذا بهم يظهرون مفضوحين منافقين وليسوا على شىء من الإيمان .

وكذلك نحن فى هذه الأيام ؛ نزعم صحة العقيدة وصدق الإيمان ، ومع هذا تظهر منا أعمال تكذب هذا الذى نزعمه وندعيه ، ومن ثم يكون من هذه الأعمال أن تبرهن على أننا لسنا مؤمنين إلا بالاسم دون العمل ، وهيهات أن تقوم أمة يكون من رجالاتها أناس من هذا الصنف من المؤمنين !

ولسنا فى حاجة إلى ضرب كثير من الأمثال لتوضيح مانريد أن نقول ، فيكفينا من هذه الأمثال العدد القليل ، وهى أمثال ننتزعها من الحياة الواقعية فى البلاد الإسلامية ، بل ننتزعها من مصر بخاصة ، وهى أمثال تكشف لنا عن سوء مانحن عليه إن لم يتداركنا الله بلطفه وعونه .

يقول الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ويقول عن كتابه الكريم مخاطبا رسوله المصطفى العظيم : « كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .

ويقول : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » ، ثم يقول : لبيان ما يجب أن يكون عليه المؤمنون فيما بينهم : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم

أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » .

أرأيت إلى هذه الآيات الكريمات ! إنها تقرر طائفة من المبادئ والأصول ، وتبين كثيراً مما يجب أن يكون عليه المؤمنون ، ومما يكون لهم من الله جزاء إيمانهم الحق . ولنُشر من هذا كله إلى ما يلى :

١ — أنها تزرع الثقة فى قلب المسلم بدينه وأمته .

٢ — تؤكد أنه أوتى من لدن الله تعالى كتاباً يخرج الناس من ظلمات الجهل والعبودية إلى نور الإيمان والحرية .

٣ — تقرر أن المؤمن أولى بأخيه المؤمن ، وأنه لن يكون المرء مؤمناً حقا إلا بإطاعة الله ورسوله فى كل ما أمرا به أو نهيا عنه .

وقد آمن المسلمون الأولون ، رضوان الله عليهم ، بكل هذه المبادئ والمعانى التى يقررها القرآن ويشهد بها الله ، وكفى به شاهدا ، ومن أصدق من الله قيلا ! فكان منهم حقا خير أمة أُخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ورسوله وكتابه ، كما آمنوا بأن هذا الكتاب الإلهى هو وحده الحرى بأن يخرجهم من الظلمات إلى النور .

وقد دفعهم ذلك إلى أن يثقوا بدينهم ثقة مطلقة ، وأن يؤمنوا بجنسهم وأمتهم ، وأن الله جعلهم أمة وسطا بين تفريط المفرطين وغلوّ الغالين ليكونوا شهداء على الناس ، وليكونوا ميزان الحق والعدالة بين الناس جميعا .

وكان من هذا كله أن سادوا العالم بأجمعه ، وفرضوا حضارتهم بكل مقوماتها عليه ؛ فكانوا القادة وكان الناس لهم تبعا ، وكان هذا الوضع مصداق ما جاء عنهم وعن دينهم فى كتاب الله المحكم .

أما حين فقدوا هذه الثقة بدينهم ، والإيمان الحق بكتابهم وحضارتهم ، ومبلغ ما أوتوا من حظ من العقل والتفكير والمعرفة ، صاروا ناسا كالناس ، بل صاروا دون كثير من الأمم التى يتكون منها العالم اليوم . وكان من نتائج هذا ، أن جعلنا

نولى وجوهنا شطر الغرب ، نلتمس منه الرأى والعون فى صغير الأمور وجليلها ، وأن جعلنا نرى الفخر فى أن نحيا كما يحيى الغربيون ، وأن نأخذ عنهم نظمهم وتقاليدهم ، ولا نرى في شيء من ذلك أي عار !

أليس فينا من يعمل جاهدا على فصل الدين عن الدولة ، مع أن أهم ما يمتاز به الإسلام أنه جاء بعقيدة وشريعة ودين ودولة ! أليس فينا من ينادى بقوة بحقوق يزعمها للمرأة ، ومنها ما يتعارض صراحة مع نصوص القرآن مثل التسوية بين المرأة والرجل فى الميراث ! ألسنا نستقدم الخبراء من أوربا وأمريكا فى كثير من الأمور التافهة مثل تربية الدواجن !

ثم ألسنا جرينا على أن ننظر إلى المعاهد التى لا يزال الدين وعلومه وشريعته يجد فيها ملاذا ، مثل الأزهر ودار العلوم ، نظرة أدنى بكثير من نظرتنا للمعاهد المدنية الأخرى ! وكان من ذلك أن خريجى المعاهد الإسلامية ، من معلمين ووعاظ وقضاة شرعيين ، لا يزالون فى منزلة أدبية ومالية أدنى من خريجى المعاهد الجامعية كما يزعمون .

وأكثر من هذا وذاك ، ألسنا نرسل لأوربا بعثات جامعية وأزهرية للتخصص فى الآداب والدراسات والفلسفة الإسلامية ! ثم نعتز بما ينال هؤلاء المتخصصون — كما يزعمون — من درجات علمية من الجامعات الغربية فى هذه الدراسات الإسلامية البحتة ، ومعنى هذا أننا نحكم أولئك الأعاجم فى علومنا الإسلامية ورجال الفكر المسلمين ؛ حتى فى مجال الفقه والحديث وعلوم القرآن !

كل ذلك صحيح لأنه واقع حقا وملموس فى مصر وغير مصر من بلاد العروبة والإسلام ، وهو دليل أى دليل على فقدنا الثقة بأنفسنا ؛ باعتبارنا خير أمة أخرجت للناس ، وأوتيت خير دين ، وأورثت العالم أعظم حضارة عرفتها الإنسانية وأفاد منها الغرب أيما فائدة .

إننا فيما يتصل بهذا كله ونحوه ، وهو كثير سيجىء لبعضه إن شاء الله تفصيل فى كلمة أو كلمات تالية وبخاصة فى ناحية القانون ، بين أمرين : إما أن نكون مؤمنين بكتابنا الإلهى وما جاء فيه من أن الإسلام عقيدة وشريعة ودين ودولة ،

أو غير مؤمنين بشيء من ذلك ولكن كُتب علينا أننا مسلمون لأننا ولدنا فى بيئة إسلامية ومن آباء مسلمين .

فإن كانت الأولى ، فلم لا نعمل وفق ما نؤمن به ، فنقيم حياتنا على أسس قوية من كتاب الله وسنة رسوله ، ونفيد من كل ما أنتجه الإسلام من نظم وحضارة ، ثم لا علينا بعد ذلك أن نأخذ عن الغرب ما قد نكون بحاجة إليه ؟ وحينئذ لنا أن ننتظر تحقيق ما وعد الله عباده المؤمنين من نصر وتأييد وعز الدنيا والآخرة .

وإن كانت الأخرى ، كانت الطامة ، وكان علينا أن نتبين مدى بعدنا عن الدين والحق ، وانحرافنا عما جاء به من عقائد وتشريعات ونظم لا تصلح الحياة إلا بها ، ولا تقوم أمة إلا عليها ؛ وحينئذ نعمل على أن نطب لهذا الداء ونبرأ منه لنكون أحرياء بعون الله ومساعدته .

لنسمع يا قوم إلى قول الله تعالى فى سورة الحديد : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون . اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون » .

نعم ! إن طول الأمد يقسى القلوب ويضعف حرارة الإيمان ، ولكن الله يحيى الأرض بعد موتها ، فهو قادر على أن يحيى موات القلوب إذا أخذنا فى الأسباب . وجماع هذه الأسباب عودة من جديد للدين الحق والعقيدة الصادقة ، وعمل جاد حثيث دائم على أن نحيا حياة إسلامية صحيحة . وعبء ذلك يقع أكثره وأولاً على رجال الأزهر والجامعة ، ثم على أولى الأمر الحاكمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ، والله المستعان الهادى إلى سواء السبيل .

---

# فى ظلال السنة

## للأستاذ عبد الوهاب حموده

## حقيقة التوكل

روى الإمام أحمد والطيالسى فى مسنديهما عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لو أنكم توكّلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدوا خماصا [1] وتروح بطانا [2] »

* * *

قد أكثر الخائضون فى بيان حد التوكل ، واختلفت عباراتهم ، وتكلم كل واحد عن مقام نفسه ، وأخبر عن حده .

ولا فائدة فى النقل والإكثار ؛ فلنكشف الغطاء عنه ونقول :

التوكل مشتق من الوكالة . يقال وكل أمره إلى فلان : أى فوّضه إليه واعتمد عليه فيه ، ويسمى الموكول إليه وكيلا ، ويسمى المفوِّض إليه متكلا عليه ومتوكلا عليه ، فيما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ، ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا .

فالتوكل إذن عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده .

يقول الغزالى فى كتاب الإحياء :

« قد يُظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن ، وترك التدبير بالقلب ، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة . وهذا ظن الجهال ، فإن ذلك حرام فى الشرع . والشرع قد أثنى على المتوكلين ؛ فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين .

---

(١) خماصا : أى جياعا

(٢) بطانا : أى ممتلئة من الطعام

« إنما يظهر تأثير التوكل فى حركة العبد وسعيه بعلم إلى مقاصده . وسعى العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب ، أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار ، أو لدفع هو ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع ، أو لإزالة ضار قد نزل به كالتداوى من المرض . فمقصود حركات العبد لاتعدو هذه الفنون الأربعة : وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضار أو قطعه » .

* * *

فالتباعد عن الأسباب كلها مراغمة للحكمة ، وجهل بسنة الله . والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل لا يخرج الإنسان عن مقامات التوكل .

ألا ترى إلى الصديق رضى الله عنه لما بويع بالخلافة أصبح آخذاً الأثواب تحت حضنه والذراع بيده ، ودخل السوق ينادى حتى كرهه المسلمون ، وقالوا كيف تفعل ذلك وقد أقمت لخلافة النبوة ؟ .

فقال لا تشغلونى عن عيالى ، فإنى أن أضعتهم كنت لما سواهم أضيع ، حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين .

فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى .

ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق فى مقام التوكل ، فمن أولى بهذا المقام منه . فدل على أنه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعى ، بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته ، والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الأسباب .

وفى الحديث الذى تقدم إشارة إلى أن الطير قد غدت من أوكارها باحثة عن رزقها ، وهى متوكلة على ربها ، صادقة فى تسخيرها ؛ فترجع وقد امتلأت بطونها بعد أن كانت جياعا ، وتعود حاملة لأطفالها رزقا يسره الله لها بتحركها والاعتماد على ربها .

قال أبو جعفر الحداد ، وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهما ، وكان من المتوكلين :

أخفيت التوكل عشرين سنة ، وما فارقت السوق ، كنت أكتسب فى كل يوم دينارا ، ولا أبيت منه دانقا ، ولا أستريح منه إلى قيراط ، بل أخرجه كله قبل الليل .

فالتوكل الخالص الصحيح هو من لوازم الإيمان ومقتضياته . قال الله تعالى : « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » .

فجعل التوكل شرطا فى الإيمان ، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل .

وإن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه ، وكلما قوى إيمان العبد كان توكله أقوى ، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل . والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة ، والتوكل والإيمان ، وبين التوكل والتقوى ، وبين التوكل والإسلام ، وبين التوكل والهداية .

فأما التوكل والعبادة فقد جمع بينهما فى سبعة مواضع من كتابه : أحدها فى سورة هود حكاية عن شعيب « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » وقوله حكاية عن أوليائه وعباده المؤمنين « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير » وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « ولله غيب السموات والأرض ، وإليه يرجع الأمر كله ، فاعبده وتوكل عليه » وقوله « قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب » .

وأما الجمع بين الإيمان والتوكل فى مثل قوله تعالى « قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا » ونظيره قوله « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » وقوله تعالى « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

وأما الجمع بين التوكل والإسلام فى قوله تعالى « وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » .

وأما الجمع بين التقوى والتوكل فى مثل قوله تعالى « يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » وقوله « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

وأما الجمع بين التوكل والهداية ففي مثل قول الرسل لقومهم « ومالنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا » .

فما لصاحب الحق أن لا يتوكل على الله ؟ وكيف يخاف وهو على الحق ؟ كما قالت الرسل لقومهم « وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا » فعجبوا من تركهم التوكل على الله وقد هداهم ، وأخبروا أن ذلك لا يكون أبدا .

وهذا دليل على أن الهداية والتوكل متلازمان ، فصاحب الحق لعلمه بالحق ولثقته بأن الله ولى الحق وناصره مضطر إلى توكله على الله لا يجد بداً من توكله .

فإن التوكل يجمع أصلين : علم القلب ، وعمله .

أما علمه : فيقينه بكفاية وكيله ، وكمال قيامه بما وكله إليه ، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك .

وأما عمله : فسكونه إلى وكيله ، وطمأنينته إليه ، وتفويضه وتسليمه أمره إليه ، ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه ؛ فبهذين الأصلين يتحقق التوكل وهما جماعه .

والمقصود أن القلب متى كان على الحق كان أعظم لطمأنينته ووثوقه بأن الله وليه وناصره .

وإذا كان على الباطل علما وعملا أو أحدهما لم يكن مطمئنا واثقا بربه ، فإنه لا ضمان له عليه ولا عهد له عنده ؛ فإن الله لا يتولى الباطل ولا ينصره ، ولا ينسب إليه بوجه ، فهو منقطع النسب إليه بالكلية ، فإنه سبحانه هو الموفق ، وقوله الحق ، ودينه الحق ، ووعده الحق ، ولقاؤه حق ، وفعله كله حق ، ليس في أفعاله شيء باطل ، بل أفعاله سبحانه بريئة من الباطل . فلما كان الباطل لا يتعلق به بل هو مقطوع ألبتة ، كان صاحبه كذلك . ومن لم يكن له تعلق بالله العظيم وكان منقطعا عن ربه لم يكن الله وليه ولا ناصره ولا وكيله .

فتحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها ، وجرت سنته في خلقه بذلك ؛ فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له ،

والتوكل بالقلب عليه إيمان به . قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنو خذوا حذركم » وقال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » .

ولقد أنكر الإمام أحمد وغيره على مَن ترك التكسب ، وعلى من دخل المفازة بغير زاد ، ظاناً أن ذلك من التوكل والاعتماد على الله .

روى عن ابن عباس قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ، فيحجون فيأتون مكة فيسألون الناس ، فأنزل الله « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » .

فالرجل الذى يقعد فى بيته زاعما أنه يثق بالله فيأتيه لذلك رزقه ؛ فهذا ما لم يفعله الأنبياء ولا غيرهم . فقد كانت الأنبياء يؤجرون أنفسهم ؛ فقصة موسى مع شعيب وابنتيه شاهد على ذلك « قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير مَن استأجرت القوى الأمين » .

وكان النبى صلوات الله عليه يؤجر نفسه ، وأبو بكر وعمر ، ولم يقولوا نقعد حتى يرزقنا الله عز وجل .

ألا ترى إلى قوله تعالى فى سورة الفاتحة التى نقرؤها فى كل صلاة « إياك نعبد وإياك نستعين » .

فقد أمرنا بأن لا نعبد غيره ؛ لأن السلطة الغيبية التى هى من وراء الأسباب ليست إلا له دون غيره . وأمرنا أن لا نستعين إلا به ؛ فإن كل عمل يعمله الإنسان تتوقف ثمرته ونجاحه على حصول الأسباب التى اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون مؤدية إليه .

وقد مكّن الله تعالى الإنسان — بما أعطاه من العلم والقوة — من دفع بعض الموانع ، وكسب بعض الأسباب ، وحجب عنه البعض الآخر .

فيجب علينا أن نقوم بما فى استطاعتنا من ذلك ، وأن نبذل فى اتقان أعمالنا كل ما نستطيع من حول وقوة ، وأن نتعاون ويساعد بعضنا بعضا على ذلك ؛ ثم نفوض الأمر فيما وراء كسبنا إلى القادر على كل شىء ، ونلجأ إليه وحده ، ونطلب المعونة المتممة للعمل ، والموصلة لثمرته منه سبحانه دون سواه .

فالزارع يبذل جهده فى الحرث والبذر وتسميد الأرض وريها ، ويستعين بالله تعالى على إتمام ذلك بمنع الآفات والجوائح السماوية والأرضية . والتاجر يحذق فى اختيار السلع ، ويمهر فى صناعة الإعلان والترويج ، ثم يتكل على الله فيما بعد ذلك .

فلا منافاة بين التوحيد والتوكل ، بل الكمال والأدب فى الجمع بينهما . روى الترمذى من حديث أنس قال : قال رجل يا رسول الله أأعقلها وأتوكل ، أو أطلقها وأتوكل ؟ قال : « اعقلها وتوكل » .

قال معاوية بن قرة : لقى عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن فقال : من أنتم ؟ قالوا نحن المتوكلون ، قال بل أنتم المتواكلون ؛ إنما المتوكل الذى يُلقى حبَّه فى الأرض ويتوكل على الله .

فثمرة التوكل الرضا بالقضاء ؛ فمن وكل أموره إلى الله ، ورضى بما يقضيه له ويختاره ، فقد حقق التوكل . .



---

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من وَلِيَ لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليس له زوجة فليتزوج ، أو ليس له خادم فليتخذ خادما ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة ، ومن أصاب شيئا سوى ذلك فهو غال » .

« رواه أحمد »

# كارثة فلسطين

الأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس
أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

## ( ٥ )

اتخذ اليهود الحرب ستاراً لإعداد قوة حربية وتكوين جيش ، وصاروا يجمعون الأسلحة والمؤن ويدّخرونها ، ويحوّلون « مستعمراتهم » إلى معاقل . ووجدوا فى الحرب فرصة نادرة للتدريب العسكرى . فبلغ عدد من انضم منهم إلى صفوف الحلفاء خمسة وعشرين ألفاً . وألفوا الجمعيات الإرهابية : فظهرت عصابات « الهاجانا » — أى الدفاع — و « أرجون زفاى لومى » — أى الهيئة الوطنية الحربية ، و « اشترن » نسبة إلى زعيمها وهو طالب شاب . وكان أحد أفراد هذه العصبة الذى اغتال فى عام ١٩٤٥ فى القاهرة لورد « موين » أحد أقطاب المحافظين . ولما كانت إنجلترا ظلت متمسكة بمبدأ تقييد الهجرة ، وكان الصهيونيون يريدون فتح الباب على مصراعيه ليغرقوا فلسطين بوفود المهاجرين ، فقد نشطت تلك العصابات لترغم الحكومة الإنجليزية — بأعمال القتل والتدمير والهمجية — على نقض قرارها . وأدت هذه الحالة إلى ازدياد الاضطراب واختلال الأمن . على أن « الوكالة اليهودية » كانت تتظاهر دائما بالولاء لحكومة الأشرار ، وتتنصل من جرائم الأرهابيين ، مع أنها كانت تشجعهم فى الحقيقة سراً ؛ كما أنها كانت تيسر الوسائل للمهاجرين فلم ينقطع ورودهم إلى فلسطين طوال الوقت ، خلسةً وبمختلف الطرق . وقد بلغ عدد اليهود فى نهاية سنة ١٩٤٤ ٥٥٤ر٠٠٠ من عدد السكان الذى كان إذ ذاك ١ر٧٦٥ر٠٠٠ .

وإذا كانت إنجلترا ، بعد تجارب مرة قاسية دامت نحو ربع قرن ، قد وصلت إلى هذه النتيجة : وهى ضرورة تقييد الهجرة والحد من المطامع الصهيونية الجامحة ، فإن أمريكا — وقد أتت عقب الحرب ١٩٤٥ لتمد الصهيونيين بقوة دافعة من جديد — لم

تـكن لها أية تجارب سابقة ، أو حنـكة أو دراية . فـكان تدخلها مبعثاً لأكبر الشرور ، وظلماً فادحاً لا مثيل له ، ومحطماً لأى أمل فى السلام فى فلسطين أو الشرق الأوسط . وإذا كان لهذا التدخل من نتيجة واضحة فإنه قد كشف أمريكا على حقيقتها ، وبيّن أنها دولة « بروتستانية » متعصبة ، وأنها تعمل للاستعمار واستغلال الشعوب مثل أخواتها الدول الأوربية . سارع « ترومان » الذى خلف « روزفلت » فى رئاسة الولايات المتحدة إلى الطلب من إنجلترا أن تُرخص بهجرة ١٠٠٠٠٠ يهودى إلى فلسطين ، وأخذ يضغط عليها لتحقق هذا الطلب . وكانت أمريكا قد خرجت من الحرب صاحبة الـكلمة الأولى فى الشئون الدولية ، وهى الدائنة لإنجلترا المنقذة لها . فما كان من إنجلترا — ولا سيما أن للصهيونية نفوذاً كبيراً فى دوائر حزب العمال — إلا أن نقضت سياستها التى كانت أعلنتها فى الـكتاب الأبيض ، وقررت فتح باب الهجرة بنسب معينة ، وإن كانت قد ذكرت أن هذا إجراء مؤقت ، إلى أن تصدر اللجنة المشتركة التى اقترحت تـكوينها قرارها فى مسائل الهجرة والإقامة وغير ذلك .

وجاء تقرير هذه اللجنة التى رأسها « هتشسون » القاضى الأمريكى — ١٩٤٦ — مؤيداً لطلب « ترومان » وداعياً لإنجلترا أن تلغى قوانين تحديد الهجرة والملـكية ، وإن كان لم يوافق على فـكرة إقامة دولة لليهود ، ونصح بأن توضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة . ولـما كانت انجلترا لا تستطيع إلا أن تطيع أمريكا ، وهى فى الوقت نفسه توازن بين المصالح المتناقضة ، فقد عادت إلى فـكرة التقسيم لتوزع الغنائم بينها وبين أمريكا ، وتم بينها وبين أمريكا اتفاق سرى على الخطة التى ستتبع ، والتى اعتزمتا أن تنفذ بالقوة والدهاء .

أعلن مستر « بيفن » ( فبراير ١٩٤٧ ) أن المشـكلة القائمة لا يمكن حلها بالمفاوضة ، وأنه ليس للحكومة المنتدبة أن تعطى فلسطين لليهود أو للعرب أو أن تقسمها بينهما ، فلم يبق إلا أن تعرض المشـكلة للتحكيم أمام هيئة الأمم المتحدة . وقد دعيت الجمعية العمومية للهيئة للنظر فى الأمر ( أبريل ١٩٤٧ ) فتقرر تأليف لجنة قيل عنها إنها ستـكون محايدة ، لتحرّى حقائق النزاع كأنه لم يكن معروفاً بعد ، وقد بدأت هذه اللجنة التى رأسها القاضى السويدى « ساندستروم » عملها منذ يونيه

من ذلك العام . وجالت بالأقطار العربية واستمعت لآراء الفريقين ، ثم قدمت تقريرها فى سبتمبر إلى الجمعية العمومية ، وكانت خلاصة تقريرها الحث على التقسيم .

وتحت تأثير أمريكا والدول الاستعمارية ، وبين المؤامرات والمناورات ، وإغراءات الصهيونيين للمندوبين بالرشاوى وغيرها ، اجتمعت الجمعية العمومية فلم تصغ إلى صوت المنطق والعدل ، وأصمت آذانها عن حجج أصحاب الحق ، وقررت أن تجعل الاغتصاب أمراً مشروعاً ، وتمزيق الوطن الواحد إلى شطرين متحاربين سياسة صواباً ، وإخراج الناس من ديارهم ليحل محلهم غيرهم من الغرباء عملاً إنسانياً ، مهما استتبع من مآس وفواجع . وهكذا أصدرت قرارها فى يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ وهو يقضى بتقسيم « فلسطين » إلى دولتين : عربية ويهودية ، ووضعت بنفسها الخرائط الموضحة لحدود التقسيم . ومعنى هذا القرار أن يكون لليهود كيان دولى فى فلسطين ، تعترف به الدول وتضفى عليه صفة الشرعية ، وهو ما قام فى الأصل إلا على أساس الاغتصاب والانتهاب ، ولم يمكن تنفيذه إلا بالسيف والنار اللذين استخدمتهما إنجلترا طوال حكمها لفلسطين ، بالقوة وعلى الرغم من إرادة أهلها . وكان هذا القرار آخر التطورات التى بدأت منذ صدور وعد « بلفور » والثمرة التى أسفر عنها الانتداب البريطانى فى مدى ثلاثين عاماً .

رفض العرب القرار وما كان لهم إلا أن يرفضوا ؛ وبالرغم مما أثار من عاصفة سخط واحتجاج شديدين بين الشعوب العربية ، فإن أمريكا — متعاونة مع إنجلترا — صممت على تنفيذه ، إذ كان لا بد لها أن ترضى اليهود لتحرز أصواتهم وتنتفع بنفوذهم ، ولا بد أن تطيع قرار مؤتمر الكنائس البروتستنتية الأمريكية الذى انعقد فى خلال الحرب وقد طالب بأن تُسلَّم فلسطين من المسلمين إلى اليهود ، ولا بد أن تقيم دولة غريبة فى قلب الشرق العربى ، تكون خاضعة لها وبمثابة قاعدة حربية وسياسية يتركز حولها نفوذها ، ولا بد أن تدق إسفينا فى جنب الأمة العربية يظل يهدد أمنها وحياتها ومصيرها ، حتى يستمر ضعفها وتكون فيما بعد لقمة سائغة للاستعمار ، ويسود النفوذ الأمريكى والإنجليزى فوق هذه المنطقة أبداً . سارت الأمور إذن وفق خطة مرسومة : فكان لا بد لإنجلترا أن تعلن إنهاء الانتداب حتى يمكن قيام

النظام الجديد ، ولا بد أن تنسحب من ذلك الجزء فى فلسطين الذى تقرر أن تتخلى عنه لليهود . وقد أعلنت إنجلترا أن الانتداب سينتهى فى أغسطس سنة ١٩٤٨ ، ثم قدمت الميعاد فجأة فيما بعد إلى ١٥ مايو من نفس العام ، وأخذ اليهود يستعدون للحرب التى كانوا يعرفون أنها قادمة لا محالة وهى واثقة من مناصرة الدول لها ، حتى إذا هزمت . وهب عرب فلسطين يدافعون عن أنفسهم ووطنهم ، ووفدت عليهم جموع المتطوعين من البلاد العربية وفى طليعتها مصر ، فأظهر الجميع آيات البطولة والبسالة ، وأبلوا بلاء حسناً .

لا يستطيع المؤرخ بعد هذه النقطة أن يتبين الحقائق بوضوح ، فإن الأسرار والدوافع التى أدت إلى حرب فلسطين ١٩٤٨ لم تكشف كلها بعد ، وهناك أسئلة كثيرة لا يوجد عنها الجواب المقنع الشافى . وإنما يبقى لنا أن نسأل : لماذا جُرد أهل فلسطين من سلاحهم وهم الذين كانوا يدافعون عن بلادهم مستميتين ؟ ولماذا تقرر إشراك الجيوش العربية النظامية ، وشل أو معارضة حركات المتطوعين ؟ ولماذا دخلت هذه الجيوش — أو زج بها إلى الحرب — بدون استعداد وبأسلحة فاسدة ، ودون هدف محدد ، وقومر بحياتها وغومر بشرفها ؟ ولماذا اشتركت فى القتال دون توحيد للقيادة أو اتفاق على الخطة أو تنسيق بين الأعمال ؟ وكيف خُدع الساسة والقادة ، فإذا بإنجلترا تفاجئهم بإخلاء « حيفا » قبيل نشوب القتال ، ثم تسلم لهم « اللد » بعد ذلك فى أثناء القتال ؟ وكيف رضوا أن يكون قائدهم الأعلى الرجل الإنجليزى الاستعمارى « جلوب باشا » ؟ وكيف صدرت الأوامر إلى الجيش العراقى ، وقد كان قاب قوسين من النصر ، بالتقهقر ، وكُشف جناح الجيش المصرى ، فتعرضت بعض وحداته للحصار ؟ ثم لماذا وافق الساسة والقادة على إعلان الهدنة الأولى وقد كان النصر ملازما لهم بعد أن سفكت الدماء وضُحى بالأرواح فضاعت الدماء عبثاً ؟ ثم كيف قبلوا أيضاً الهدنة الثانية ؟ وهكذا . . إلى آخر أسئلة لا تنتهى !

ثم كانت نهاية المطاف عقد الهدنة فى « رودس » فى مارس ١٩٤٩ ، فانتهت الحرب وشرد أكثر من ثمانمائة ألف عربى تركوا يهيمون على وجوههم يقابلون

الجوع والفناء . وإذا بدولة اليهود — التي كان ترومان قد أعلن اعترافه بها منذ أول يوم للحرب — تبدو دولة مترامية الأطراف : تمتد حدودها من بحيرة طبرية وسوريا فى الشمال إلى العقبة فى الجنوب ، وتشمل أهم مدن فلسطين وموانيها ، ومنطقة النقب ، والقسم الأعظم من « القدس » فها هى ذى الآن دولة قائمة — ولم تعد مزعومة كما كان يقال عنها — هى الجار الأول اللاصق لكل من الأقطار : مصر ، والأردن ، وسوريا ، ولبنان ، والحجاز ، وتمترض بين هذه الدول كلها ، وتقطع المواصلات بينها ، وتقوم خطرا ملموساً كبيرا على كل منها . ثم هى بعد أن أحرزت نصرها الأول ، تستعد وتأخذ الأهبة ليوم آخر ثم أيام تحقق فيها مابقى من مطامعها ، وتتسلح بأقصى ما تستطيع ، وتعيش على الشظف ، وتتحول كلها إلى جيش كبير وآلة رهيبة للقتال!

دولة إسرائيل فى قلب الشرق العربى

فماذا أعدت الدول العربية — وهى متفرقة متنابذة — لمجابهة هذا الخطر ؟ ماذا صنع ساستها وزعماؤها — وهم كثر — لدرء هذه الكارثة ؟ وماذا فعلت جيوشها التى غُرِّر بها لتثأر لشرفها ؟ ثم هل تفكر شعوب تلك الدول جديًّا فى المدافع والقنابل والأساطيل التى تصنعها اليوم « إسرائيل » لتقذفها بها فتحاول تدميرها ؟ إن الخطر الآن جاثم بين ظهرانينا ، وإن هذا هو أكبر خطر تعرّض له الشرق العربى منذ عهد الحروب الصليبية . ولكن هل نحن حقيقةً متيقظون له ، مدركون لمداه ، متخذون الوسائل الفعالة للقضاء عليه ، أم نحن لاهون بإرضاء الغرور الذاتى ، والمنازعات الداخلية ، والترهات ، وتوافه الأمور ، والأباطيل ؟؟

كل هذه أسئلة لا يجيب عنها التاريخ ، وإنما سيجيب عنها المستقبل ؟

خاطرة :

# سياسة المحراب!

ابرق المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي يقدر «لفشينسكي» موقفه في مناقشات حوادث الحدود في مجلس الأمن ، ونشر مع البرقية تعليق عليها قلت فيه : «ان دعاة الاسلام والعاملين له في الوقت الذي يرون فيه «الشيوعية» مذهبا دخيلا يغنينا الاسلام عنه كما يغنينا عن غيره من المذاهب ، يرون من واجبهم ان يقدروا لمندوب روسيا موقفه الكريم في مجلس الأمن !» .

واذا بي افاجأ في اليوم التالي بمقال لعالم فاضل يحمل فيه على هذا « الابراق » وكأنه خشي منه انحرافا اخر اصاب المؤتمر ، أو خشي ان يفهم الناس ذلك ، وذكر في مقاله ان الأعداء في العداوة سواء ، وان كلا منهم لايقف موقفا الا لمصلحة تعود عليه ، وحرى بنا الا تخدعنا الظواهر فنميل ميلة لاتحمد عقباها .. فتناولت الهاتف (١) وتحدثت معه ، وعاتبته وانا المحب له – ان يكون تناول مثل هذه الأمور الدقيقة بمقال في صحيفة ، وذكرته ان المكتب الدائم لا يقدم على امر الا بعد دراسة ، وان أعضاءه كما يعلم هو والحمد لله فوق التهمة .. فدافع عن رأيه وعن المقال ، وجاء على لسانه اثناء الحديث : يا استاذ سعيد ، أمن المحراب الى السياسة أم من السياسة الى المحراب ؟! فقلت له : ثق يا أخي انها سياسة المحراب . واهل المحراب مسئولون ان يرقبوا في نور المحراب الغادي والرائح من امور الناس ، وان يدركوا مصالح اعدائهم والى اين تتجه ، واين تختلف ، ولا يجوز لهم طبعا أن يتوقعوا من عدو أو من غير عدو أن يضحي بمصلحته لمصلحتهم .. ولكن لا بأس ابدا ، بل انه من الحكمة الواجبة ، ان يعلموا اين تلتقي مصلحته بمصلحتهم ... فيمسكوا الخيط لحسابهم ، وليس معنى ذلك انهم مالوا معه ، ولكن معناه انهم عرفوا اين مصلحتهم ، واعلموا الذين يظنون أن المسلمين مركوبون دائما ، ومغفلون ابدا ، ان الأمر ليس كذلك ، وان ملايين الدولارات التي يظنون انهم يشترون بها الذمم والضمائر لاتعدل عند المسلمين موقفا يخدم قضاياهم ، وان ود المسلمين لا يكسب الا بانصافهم ، وان مظاهرة اعدائهم عليهم معناها عداوة المسلمين كافة ... وذلك أضعف الايمان .

وللمسلمين بعد ذلك طريقهم الذي لا يجوز ان ينحرفوا عنه ... وذلك مفهوم تعليقي على البرقية ، ونحن بذلك لا نزال في المحراب ...

* * *

ليس هذا طبعا « نص » كلماتي مع صديقي الفاضل على الهاتف ، ولكن كان هذا معناها !

---

(١) اصطلاح شامي يراد به (التليفون) وهو عربي جميل .

# إلى الحب والعاطفة!

## لسماحة الأستاذ السيد أبي الحسن الندوى

وكيل ندوة العلماء بالهند

[ قبس من مثنوى مولانا جلال الدين الرومى ]

قلت فى محاضرتى التى ألقيتها فى دار العلوم فى القاهرة عن العوامل التى كوّنت شخصية شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال : « والعامل الأخير والمؤثر الكبير فى تكوين عقليته وتوجيه رسالته هو المثنوى المعنوى بالفارسية ، قد كتبه مولانا جلال الدين الرومى فى ثورة وجدانية ونفسية شديدة ، ضد الموجة العقلية الإغريقية التى اجتاحت العالم الأسلامى فى عصره ، وقد انتصر فيه للإيمان والوجدان انتصاراً قويا ، وانتصر للقلب والروح والعاطفة والحب الصادق والمعانى الروحية ، من المباحث الكلامية الجافة والقشور الفلسفية التى كانت تشغل أذهان المسلمين والمدارس الدينية والأوساط العلمية فى الشرق الإسلامى . والكتاب متدفق قوة وحياة ، زاخر بالأدب العالى والمعانى الجديدة والأمثال الحكيمة ، والحكم الغالية والنكث البديعة ، وطابعه العاطفة القوية والطبع الريان الذى يعلى هذه المنظومة التى لا تزال فريدة فى موضوعها فى المكتبة الإسلامية العامرة ، ولا يزال لها التأثير القوى فى تحرير الفكر من رق العقل والتقديس الزائد للقيم العقلية والخضوع للمادّية الرعناء . ويبعث التمرد على عالم المادية الضيق ، والتطلع إلى أجواء الروح الفسيحة » .

وقد رأيت أن أقدم لقراء «المسلمون» شذرات من هذا المثنوى الخالد ، مقتبسة من كتابى الكبير « رجال الدعوة والفكرة فى الإسلام » الذى أنا فى تأليفه[1] ،

---

(١) يقع الكتاب فى نحو ألف صفحة ويبحث عن تاريخ الدعوة والإصلاح والتجديد والجهاد والتفكير الإسلامى ، ويذكر — فى تفصيل — كل من مثل دوراً خاصاً فى تاريخ الإسلام أو أثر فى المجتمع الإسلامى والعقلية الإسلامية . بدأت بتأليفه فى أردو وينقل — إذا وفق الله — إلى اللغة العربية . وقد وصلت فيه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وسيملأ — إذا من الله بإكماله — فراغاً فى المكتبة الإسلامية على سعتها وغناها .

وقد انطلقت هذه الموجة العقلية المادية من جديد وهى أقوى وأطغى من الأولى ، وقد يتحير الباحث هل يسميها الموجة العقلية أو الموجة الميكانيكية والصناعية ، أو الموجة التجارية ، أو الموجة السياسية ، أو يطلق عليها هذه الألقاب كلها ، ولكنها على كلٍّ مادية لا تعرف الروح والقيم والخلقية ، ولا تعرف من معانى الحب وأنواعه إلا الحب الشهوى ، ولا من العاطفة إلا العاطفة الجنسية ، أما الحب السّامى ، البرئ النزيه ، القوىُّ الأمين ، الذى هو سِرُّ الوجود ، وجمال الدنيا ولذة الحياة ، والقوة الكبرى ، والمميز بين الإنسان والحيوان ، فلا تعرفه ، كذلك لا تعرف من الدوافع النفسية والمحركات الخلقية ، إلا الأعصاب — التى تهيَّج وتتوتر بسرعة — والعقل المادى — إن صحَّ التعبير — والنفس الحيوانية ، أما العاطفة الإنسانية العميقة التى يرجع إليها الفضل فى أكثر ما يزهو به التاريخ ويفتخر به الإنسان فهى تجهلها على كثرة دراستها لعلم النفس والأخلاق .

وقد اندفع العالم الإسلامى — وهو الموئل الأخير للحب السامى والعاطفة النبيلة — من أقصاه إلى أقصاه وراء هذا التيار المادى والحضارة الصماء البكماء التى لا تملك الشعور ولا الضمير ، ولا تحمل القلب بين جوانحها ، وأصبحت الحياة فيه — أو كادت تصبح — نسخة من الحياة فى أوربا على تخلفه فى ميدان الصناعة والتجارة ، ولكنها روح واحدة ونفيسة واحدة ، وتتبرم أيها القارئ من حياة أوربا الصناعية أو الميكانيكية أو الرياضية ، وتفزع إلى العالم الإسلامى — فى ضَجَر وغَضَب — تتفقد فيه قلباً خافقا . ونفساً ثائرة ، وروحاً ملتهبة ، وعاطفة جيّاشة ، وعيناً هطّالة ، وماردًا يتمرد على المادة وعُبّادها ؛ فلا تظفر بطلبتك إلا بعد العناء الكبير والبحث الدقيق .

فى هذا العالم المادى الذى كان يتجرد عن كل عاطفة وروح ، فأصبح مصنعا أو متجراً تردِّد صيحة مولانا جلال الدين الرومى التى أرسلها قبل سبع مائة عام فتجاوب لها العالم الإسلامى ودوت بها الآفاق ، والعالم الإسلامى أحوج إليها اليوم منه بالأمس .

عصر الرومي :

لقد هبّت عاصفة عقلية جامحة فى القرن السابع بعثها علم الكلام الذى كان الشغل الشاغل للمسلمين فى القرون الأخيرة ، وكانت هذه العاصفة عاتية شديدة انطفأت بها كوانين القلوب ومجامرها ، وإذا كانت لا تزال بقية من جمرات الحب والعاطفة فقد كانت كامنة فى الرماد مغلوبة على أمرها ، وقد أصبح المسلمون بعد ما كانوا شعلة من الحياة وجذوة من النّار ، ركاما بشريا أو فحما حجريا بَعُدَ عهده بالنار والحرارة .

فى هذا الجو المادىّ الخامد هتف مولانا جلال الدين الرومى بالحبّ والعاطفة حتى هبّ العالم الإسلامى من نومه العميق ودبّت فيه الحياة .

الدعوة إلى الحب :

لقد دعا الشيخ إلى الحب دعوة سافرة ، وذكر عجائبه وتصرفاته فى بسط وتفصيل فيقول : « إن الحب يحوّل المُرّ حلْوًا ، والتراب تبرا ، والكدِر صفاء ، والألم شفاء ، والسجن روضة ، والسقم نعمة ، والقهر رحمة ، وهو الذى يلين الحديد ، ويذيب الحجر ويبعث الميت وينفخ فيه الحياة ، ويسوّد العبد » .

ويذكر قوة الحب وعلوه فيقول : « إن هذا الحب هو الجناح الذى يطير به الإنسان المادى الثقيل فى الأجواء ، ويصل من السمك إلى السماك ، ومن الثرى إلى الثريا ، إذا سرى هذا الحب فى الجبال الراسيات ترنحت ورقصت طربا « فلما تجلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا » .

ويذكر أن الحب غنىّ أبىّ ، لا يحتفل بالملك والسلطان ، من ذاقه مرة لم يُسغ شرابا ، يقول : « إن الحب غنىّ عن العالمين ، إن كان الشغف بالمحبوب ونفى ما سواه جنونا فهو سيد المجانين » .

إنه ملك الملوك تخضع له أسِرّةُ الملوك وتيجانهم ، ويخدمه الملوك كالعبيد يقول : « إن الحب كامن كالنار ولكن الحيرة بادية ، متواضع ولكن نفوس الملوك الذين يملكون النفوس له خاشعة » .

وإذا ذكر الرومى هذا الفقر الجسور والحب الغيور أخذته نشوة ونادى بأعلى صوته « بارك الله لعبيد المادة وعبّاد الجسم فى مُلكهم وأموالهم ، لا ننازعهم فى شىء ، أما نحن فأُسارى دولة الحب التى لا تزول ولا تحول » .

« إن جميع المرضى يتمنون البرء من سقمهم ، إلا أن مرضى الحب يستزيدون المرض ويحبون أن يضاعف فى ألمهم وحنينهم ، لم أر شرابا أحلى من هذا السم ، ولم أر صحة أفضل من هذه العلة » .

« إنها علة ولكنها عِلّة تخلِّص من كل عِلّة ، فإذا أُصيب بها إنسان لم يُصَب بمرض قط ، إنها صحة الروح بل روح الصحة ، يتمنى أصحاب النعيم أن يشتروها بنعيمهم ورخائهم » كأنه يعارض الشاعر العربى فى قوله :

ولى كبد مقروحةٌ من يبيعنى ... بها كبداً ليست بذات قروح
أباها علىَّ الناس لا يشترونها ... ومن يشترى ذا علة بصحيح

فلو عرف هذا الرجل الذى كان ينادى على كبده قيمة هذه الكبد المقروحة لما تنزل إلى بيعها والتخلى عنها ، ولو عرف الناس قيمتها لاشتروها بملك الدنيا وعافية الأجسام ، فما قيمة كبد لم تقرح ؟ إنها مضغة لحم وقطعة حجر !

إن هذا الحب البرىء السّامى يصل بالإنسان إلى حيث لا توصله الطاعات والمجاهدات « لم أر طاعة أفضل من هذا الإثم ( عند من يسميه إثماً ) إنّ الأعوام التى تنقضى بغيره لا تساوى ساعة من ساعات الحب » .

إن الدم الذى يسيل فى سبيله لا يُشك فى طهارته ، إن شهيد الحب لا يحتاج إلى الغسل « إن دماء الشهداء أفضل من الماء الطهوُر ، يا لها من خطيئة إن كانت خطيئة » يقول إن المحبين الذين بذلوا مهجهم وأحرقوا قلوبهم لا تنفذ عليهم القوانين العامة ، ولا يُخْضَعون للنظم السائدة ، ويضرب الرومى لذلك مثلا بليغاً فيقول : « إن القرية التى خربت لا تفرض عليها الجبايات والضرائب » .

ويقارن بين الحب البرىء والعقل الشاطر فيقول : « إن الحب تراث أبينا آدم ، أما الدهاء فهو بضاعة الشيطان ، إن الداهية الحكيم يعتمد على نفسه وعقله ،

أما الحب فتفويض وتسليم ، إن العقل سباحة قد يصل بها الإنسان إلى الشاطئ وقد يغرق ، وإن الحب سفينة نوح لا خوف على ركابها من الغرق » .

هذا ، وبحر الحياة هائج مائج ليس السباحة فيه بالخطب اليسير ، فخير للإنسان أن يأوى إلى سفينة مأمونة من الغرق وهى سفينة الإيمان والحب ، يقول : « لقد رأينا كثيرا ممن يحسنون السباحة قد غرقوا فى هذا البحر اللجى ، ولكنا ما رأينا سفينة الإيمان والحب تغرق » .

ثم إنه يفضِّل حيرة المحبين على حكمة الحكماء الباحثين ، ويحث على الحرص عليها والتنافس فيها لأن « الحكمة ظن وقياس ، والحيرة مشاهدة وعرفان » .

أنه يقول : « ليس لكل أحد أن يكون محبوباً فإنه يحتاج إلى صفات وفضائل لا يرزَقُها كل إنسان ، ولكن لكل أحد أن يأخذ نصيبه فى الحب وينعم به « فإذا فاتك أيها القارئ العزيز أن تكون محبوباً فلا يَفُتْك ياعزيزى أن تكون محباً ، إذا لم يكن من حظك أن تكون يوسف (١) ، فمن يمنعك من أن تكون يعقوب (٢) ، وما الذى يحول بينك وبين أن تكون صادق الحب دائم الحنين » .

ويزيد الشيخ على ذلك أن لذة الحب لا تعدلها صولة المحبوب ، فإذا عرف المحبوبون ماينعم به المشاق المتيمون والمحبون المخلصون لتمنوا مكانهم وخرجوا من صف المحبوبين السعداء إلى صف المحبين البؤساء .

ولكن :

ولكن إلى مَن يوجَّه هذا الحب الذى هو نور الحياة وقيمة الإنسان ؟ إن الحب خالد لايجدر إلا الخالد ، إنه لايجمل بمن كتب له الفناء والأفول ، إنه حق الحى الذى لا يموت ، الذى يُفيض الحياة على كل موجود ، يستدل الرومى على ذلك بقصة سيدنا إبراهيم ويتمثل بقوله « لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ » .

« إن هذا الحب يجرى من صاحبه مجرى الروح والدم ، إن وضع فى محله وصادف أهله فإنه شمس لاينتابها الأفول ، وزهرة ناضرة لايعتريها الذبول ، عليك بهذا الحب

---

(١) رمز المحبوب (٢) رمز المحب

السرمدي الذي يبقى ويفني كل شيء ، الذي يدور عليك بكؤوسه التي تروى ظمأك ، عليك بهذا الحب الذي ساد به الأنبياء وحكموا » .

## لا داعي إلى اليأس !

ولكن ليس المحب الطموح أن يشكو قصوره ، ويحتقر نفسه ، متعللا بسمو المحبوب وعلو مكانته وغناه عن العالمين ؛ فما للتراب ورب الأرباب !

لأن المحبوب الحقيقي هو الذي يُحب أن يُحَبّ ، ويجذب إليه كل من انجذب : « اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبْ » يقول مشجعا : « لا تقل لا سبيل لى إلى ذلك الملك الجليل ، فأنا عبد ذليل ، لأن الملك كريم يدعو عبده ويسهل له السبيل » .

ويعود فيتغنى بهذا الحب ويقرظه فى سرور ونشوة ويقول : إنه فى مايبدو للناظر علة علاجها عسير وصاحبها فى تعب وعذاب ، ولكنه إذا احتملها وثابر عليها وصل إلى المعرفة الحقيقية والحياة الأبدية « إن الحب منشأه انكسار القلب وجرح الفؤاد ، إنه علة لاتشبهها علة ، إن علة المحب تختلف عن كل علة ، إن الحب اصطرلاب الأسرار الإلهية » ثم يذكر أن هذه العلة وإن كانت فى ذات نفسها علة ولكنها شفاء للأسقام النفسانية والأمراض الخلقية ، إن الأمراض التى أعيت الأطباء ، وتعذر منها الشفاء ، وقطع منها المصلحون الرجاء ، تبرأ وتزول بلفتة من هذا الحب . فإذا برأ منها السقيم الذى يئس من صحته ، هتف فى سرور وطرب « حياك الله أيها الحب المضنى ، ياطبيب علتى وسقمى ، يادواء نخوتى وكبرى ، ياطبيبى النطاسى ، ويامداوى الأسى »

هذا لأن الحب شعلة إذا التهبت أحرقت كل ماسواه ، فلا كبر ، ولا خيلاء ، ولا جبن ولا خوف ، ولا حزن ، ولا حسد ، ولا بخل ، ولا عيبا من العيوب النفسية ، إن موجة الحب تجرف بالحشيش ، وتسرى فى النفس سريان النار فى الهشيم ، « إن الحب شعلة تحرق كل ماسوى المحبوب ، إن التوحيد سيف إذا سلّه صاحبه قطع كل ماعدا الله ، فحياك الله وبياك أيها الحب الذى لايحتمل الشرك » .

ويمسك مولانا بعد هذا النفس الطويل فى مدح الحب ووصفه ، ويقول : « إن حكاية الحب لاتنتهى ، وتفنى الدنيا ولا تنقضى عجائبه ؛ لأن الدنيا لها نهاية وغاية والحب وصف من لا يفنى ولا يموت » .

عالم القلب :

ولكن لاسبيل إلى هذا الحب إلا بالقلب الحى الفائض بالحياة والحرارة . وقد طغت الناحية العقلية فى عصره كما قدمنا وتخطت حدودها وتضخمت على حساب القلب والعاطفة ، فمهما استنارت العقول فقد بردت القلوب وفقدت حياتها وحرارتها ، وأصبحت المعدة قطبا تدور حوله رحى الحياة . وقد أثار الرومى حديث القلب وماله من مكانة وكرامة فى حياة الإنسان ، وما تحويه من عجائب وكنوز ، وذكر أن الإنسان يحمل فى جسمه روضة أكلها دائم وربيعها قائم ، وأنه يحمل فى جسمه الصغير عالما أوسع من هذا العالم المادى لا يُخاف عليه من عدو ولا يطرقه لص « إن القلب بلد عامر مأمون ، وحصن محكم مصون ، روضة مباركة لا ينفد نعيمها ولا ينضب معينها ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » .

وذكر أن حدائق العالم لاتطول حياتها ولاتأمن الآفات والعاهات ، ولكن نخلة القلب دائمة النضارة والثمار ، إن الحدائق تبطىء فى النماء وتسرع فى الفناء ، أما القلب فسريع النمو بطىء الزوال « إن روضة الجسم لاتلبث أن تصبح صريماً هشيما فينادى صاحبها واحسرتاه ، أما روضة القلب فلا تزال مخضرة مثمرة فينادى صاحبها وافرحتاه » .

فالذى يحاول أن يحافظ على صحته وشبابه ويبقى شابا قويا لا تتحقق أمنيته ، والذى يعتنى بقلبه ويحسن تربيته وتغذيته يبقى شاب الروح ، نشيط الجسم ، قرير العين ، ناعم البال جذلان مسروراً « عليك بالقلب حتى تدوم شابا ، تتجلى فى وجهك الأنوار فيشرق .

عليك بالقلب حتى تبقى زاخر الحيوية والنضارة مثل الصهباء ، متهللا كزهرة ناضرة ووردة باسمة » .

ولكن لا تغرنك كلمة «القلب» فليس القلب هذه القطعة التى تخفق فى صدرك وتتجمع فيها الشهوات والمطامع ، ليس القلب هو الذى لم يذق طعم الحب ولم يعرف معنى اليقين ، ولا يملك شيئاً من الشوق ، الذى لا تتفتح زهرته ولا يشرق ليله ، فليس هو القلب ، إنما هوقطعة من حجر أوخشب ، «إنه ضيق مُظلم مثل قلب اليهود ، لانصيب له من حب الملك الوَدود ، إنه لا يشرق ولا ينير ، ولا ينشرح ولا يتسع » .

إنه ليس بين هذا القلب الميت وبين القلوب الحية إلا الاشتراك فى اللفظ والشبه فى الجسم ، كما أن الماء الذى يجرى فى العيون الصافية والأنهار الجارية يسمى ماء والذى يختلط بالطين والوحل ويُرى فى المستنقعات يُسمى ماء كذلك ، ولكن الأول يروى الظمأ وينقى الثوب ، والثانى لا تُغسل منه اليد . هذا هو الفرق بين القلب والقلب ، إن قلوب الأنبياء والأولياء لتعلو على السماء ، أما قلوب أشباه بنى آدم فهى قلوب أشباه القلوب وليست بقلوب ، فإذا قلت « قلبى » فانظر ماذا تقول .

«تقول قلبى قلبى ، فهل تعرف أن القلب من أمانات السماء ؟ ان الحمأ لاشك يحمل ماء ولكنك لا ترضى أن تغسل به يدك ، لأنه إذا كان ماء فهو ماء يغلب عليه الطين والوحل ، فلا تسمّ ما يخفق فى صدرك «القلب» إن القلب الذى هو أعلى من السموات العُلى ، هو قلب الأنبياء والأصفياء » .

ولكنه يسلى قارئه ولا يريد أن يكسر قلبه ويثبط همته فيقول : « إن سلعتك التى لا يرغب فيها مشتر قد اشتراها الكريم تكرما وتفضّلاً ، إنه لا يرفض قلبا من القلوب لأنه لا يقصد به الربح » .

ثم ينصح قارئه بالانطلاق من هذا القفص الذهبى الذى يسمى « المعدة » ، والطيران فى أجواء القلب الفسيحة والاطلاع على عجائب خلق الله والتنعم بلذة الروح ، يقول إن المعدة وعبادة المادة هو الحجاب الصفيق بينك وبين ربك فإذا رفعت هذا الشر لم يكن بينك وبين ربك حجاب « تخطَّ حدود المعدة وتقدم إلى قلبك تأتيك تجيات الرحمن من غير حجاب » .

هذا بعض ما قاله مولانا جلال الدين الرومى — زعيم المتكلمين فى عصره — عن الحب والقلب والعاطفة ، وكان رد فعل ضدّ الثورة العقلية والكلامية التى أماتت القلوب وشلت الأيدى والقوى ، وكان لشعره وأفكاره رنة فى العالم الاسلامى ودوىّ فى الأوساط الأدبية والعلمية لم يُعرف لشاعر ولا لمفكر فى الزمن الأخير ، وقد شغل العالم الاسلامى قروناً كثيرة ، وحدّ من سلطان العقول الجامحة التى لا تعرف قدرها ، ولطّفَ من حدة المباحث الكلامية ، وردَّ إلى القلب والعاطفة بعض حقهما .

ونتناول فى مقالاتنا الآتية ما قاله عن كرامة الإنسان والشرف الإنسانى ، والدعوة إلى الكفاح وحلوله للمباحث الكلامية وألغاز الكون وعلم الكلام الذى يتفرّد به ، والذى لا يزال مثالا فى الحكمة والإقناع حتى فى عصرنا الحاضر .

من القديم :

# الأمة الواحدة

للإمام الشهيد حسن البنا

« وأنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأنا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ . فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِم فَرِحون . فَذرْهُمْ فِي غَمرتهَمْ حَتَّى حِينْ » .

* * *

لهذا الإسلام فى الوجود مهمتان :

أولاهما : صياغة الأفراد صياغة إنسانية جديدة ، أساسها : الصلة بالله والتعرف إلى الملأ الأعلى ، وإبراز خصائص الإنسان العليا ، وتطهيره من أدران الغرائز الدنيا ، والتجافى به عن كل مالا يتفق مع كمال إنسانيته وطبيعة فطرته وميزته ، واستكمال معانى القوة والجمال ، والسمو ببدنه وعقله ووجدانه ليكون فى أحسن تقويم ؛ وإنما يكون ذلك بالقدوة الصالحة ، والفكرة الصالحة ، والتزكية الصالحة :

« ربَّنا وابعَث فيهم رسولاً منهُمْ يتلو عليهم آياتكَ ويعلمهم الكتاب والحكمة ويُزكّيهم إنّكَ أنت العزيز الحكيم » .

وثانيتهما : صياغة المجتمعات البشرية صياغة إنسانية عالية جديدة كذلك ، بتأليف بناء متماسك قائم ، ومجتمع موحد فاضل من هذه اللبنات الصالحة ؛ يبدأ بالجماعة الممتازة ، ويتطور إلى الأمة الممتازة ، ويسرى وينتشر ويعم حتى يشمل العالم كله فيتحقق قول الله تعالى :

« وما أرسلناكَ الاّ رَحمةً للعالمين » .

« كُنتُمْ خير أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للناس ، تَأمُرون بالمعروف ، وَتَنهَون عَنِ المُنكَرِ ، وتُؤمِنُونَ باللهْ » .

ومن هنا كانت الجماعة التى تؤمن بالإسلام والشعب الذى يؤمن بالإسلام ومجموعة الشعوب التى تؤمن بالإسلام ، مهما اختلفت أو طانها وألوانها وأجناسها ونامها ، تعتبر جميعاً فى عرف الإسلام أمة واحدة ، قوية التماسك ، عظيمة الترابط ، قد ارتفعت صلتها إلى درجة الأخوة ، ثم تجاوزتها إلى الحب ، ثم علت حتى صارت إلى الإيثار :

« ويُؤثِرون على انفُسِهِمْ ولو كانَ بهم خصَاصةٌ ، وَمَنْ يوق شحَّ نفسه فأولئك هم المُفلِحون » .

ومن هنا كان الإسلام عقيدة وجنسية ، ليست جنسية الدم والأرض ، ولكنها جنسية الأخوة والروح ، وهى أقوى وأفعل ! !

ومن هنا جاء القرآن يقرر هذه الحقائق فيقول :

« والمؤمنون والمؤمنات بَعْضُهمْ أولياء بعض » ويقول : « إنما المؤمنون إخوة » ويقول : « واذكروا نعمَةَ الله عليكُمْ إذ كُنتُمْ أعداء فألّف بَينَ قلوبكُمْ فأصبَحتُمْ بنعمته إخواناً » .

ويؤكد النبى صلى الله عليه وسلم هذا المعنى فى أحاديثه الشريفة فيقول : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له الجسد بالسهر والحمى » ويقول : « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » ويقول : « إن أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون . وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة : المشاءون بالنميمة والمفرقون بين الأحبة ، الملتمسون للبرءاء العيب » .

وكما قرر الإسلام لهذه الوحدة هذه المعانى الإيجابية فقد حرص على أن يحتاط من الناحية السلبية ، فيحذّر أمته من كل معانى الفرقة وعواملها ، فيقول القرآن الكريم :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » ويقول « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم » .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصوم — وفى رواية والصدقة — قالوا بلى يا رسول الله . قال : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » .

وكثيراً ما ترد كلمة الإيمان بمعنى الوحدة ، وكلمة الكفر بمعنى الفرقة فى لسان الكتاب والسنة ؛ فيقول القرآن الكريم :

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

وسياق الآيات وحادثة نزولها تعين أن المعنى — والله أعلم — يردوكم بعد وحدتكم متفرقين وكيف تتفرقون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم وجوه بعض » .

والسياق والحادثة كذلك يحتمان أن يكون المعنى : لا ترجعوا بعدى مختلفين ، يضرب بعضكم وجوه بعض . وفى هذا الاستعمال والتعبير أعظم الترغيب فى الوحدة ، وأعظم التنفير من الخلاف والشقاق .

فيا أيها المؤمنون بكتاب الله الكريم ، وحديث النبي العظيم محمد صلى الله عليه

وسلم : هذا كتاب الله يدعوكم إلى الوحدة ، وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم عليكم الخلاف والتفرقة . فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون ؟ .

اختلفتم فى الدين ، خلاف عصبية وأهواء وجدال ومراء ، لا خلاف تمحيص وبحث واستهداء ، فعميت عليكم حقيقته ، وفرّت من بين أيديكم هدايته ، وبقيت فى رؤوسكم ونفوسكم قشوره وصورته ، فكنتم مسلمين بالأسماء والمواطن ، لا بالقلوب والمواجد .

وإن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .

واختلفتم على الدنيا فانتزعها الأجانب من بين أيديكم ، وتعاونوا عليها شركات وجماعات ومصارف وهيئات ؛ ففازوا بها من دونكم واستذلوكم بفتاتها ومنّوا عليكم بالحقير التافه من أعراضها .

واختلفتم فى السياسة شيعاً وأحزاباً ، وطوائف وألقابا ، فذهبت ريحكم واستُعبِدت دولكم ، وتمكن العدو فى أرضكم ، وضرب بعضكم ببعض ، ووقف يرمقكم ويسخر من تنابزكم بالألقاب وتقاذفكم بالسباب ، فكفيتموه أمركم وأرحتموه من عناء جهادكم ، وفعلتم بأنفسكم ما لم يفعل بكم الخصوم : قللتم العدد ، وأوهنتم الجلد ، وخسرتم المال والولد ؛ ولم تحصلوا بعد ذلك على شيء ، دنياكم ذلة وخصام ؛ وآخرتكم تبعات بين يدى الله جسام ، فإلى متى والزمن يدور ويجرى ، والفرص تسنح وتمضى ؟

أيها المؤمنون بالله ورسوله وكتابه : تنادوا بكلمة سواء ، وتعالوا إلى منهاج واضح مبين :

« أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا » .

وأن نرضى بالله ربا فنفرّ من المطامع الشخصية إليه ، وبالإسلام دينا فننهج نهجه ونأخذ عنه ونطبق كل تصرفاتنا عليه ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، فنقتدى بسيرته ونهتدى بسنته ، ونسير تحت رايته إلى حيث النصرة والسيادة فى الدنيا ، والجنة والمغفرة فى الآخرة :

« فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا : اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » .

# برنامجنا الاقتصادى

للأستاذ محمود أبو السعود

مستشار بنك الدولة بباكستان

## (٢)

### محور الاقتصاد الإسلامى :

يدور الاقتصاد الإسلامى حول محور ثابت متين ، هو الزكاة .

وليست الزكاة مجرد ضريبة يدفعها حائز المال كما يظن عامة الناس ، ولكن الزكاة فلسفة اقتصادية عميقة اشتملت على العناصر الأساسية التى تميز الاقتصاد الإسلامى والتى تجعله يختلف عن غيره بما ينفرد به من مناعة طبيعية ضد الأمراض الاقتصادية التى مافتئت تفتك بالمجتمعات البشرية حتى أوردتها موارد التلف ، وألجأتها إلى تلك المذاهب الواهنة ، من اشتراكية غامضة ، إلى رأسمالية ظالمة ، إلى فاشية مستبدة ، إلى غير ذلك من مذاهب باهتة وفلسفات تئد نفسها بمجرد ظهورها ، أو تئد من اتبعها من الداعين لها بحكم خسرانها وبهتانها .

### فلسفة الزكاة :

تقوم فلسفة الزكاة على مبدأ التكافل الاجتماعى ، ذلك المبدأ الذى أحله الإسلام مقام الصدارة فى مجتمعه ، فالفرد مسئول عن غيره مسئولية لا نجد لها نظيرا فى أى مذهب آخر : سماوى أو دنيوى ، وليست هذه المسئولية مجرد مسئولية معنوية ولكنها مسئولية مادية ، نظمها الإسلام بحيث لا يمكن للفرد المسلم أن يتخلص منها ، حتى لو أراد ذلك وقصده . ونحن هنا لن نعرض إلا للناحية الاقتصادية من هذا التكافل ، ولن نعالجها من ناحيتها الروحية ، بالرغم مما لهذه الناحية من أثر عميق فى نشاط الأفراد ، وبالرغم عن أن الفرد فى تصرفاته لا يصدر قط عن دوافع مادية فحسب كما أوضحنا آنفاً .

النشاط الاقتصادى فى الإسلام :

يأمر الإسلام بالقوة الإنتاجية فى كل نواحيها ، ويحضّ على العمل الصالح . وكل عمل صالح لايعدو أن يكون إنتاجاً : أى نشاطاً اقتصادياً مبذولاً بقصد إشباع رغبة تنوء على الغير نفعا ، ويلاحظ أن هذا التعريف يتفق مع الاصطلاح العلمى الحديث ، من حيث كون الإنتاج مقصوداً به نفع الغير أو إشباع رغبته ، ويختلف عن التعريف الحديث فى تفسير إشباع الرغبة ، فما كان منه متمشياً مع التكافل عُدّ إنتاجا اقتصاديا ، وما تعارض مع هذا المبدأ لم يعَدّ كذلك . والقاعدة الفصل فى الحكم على الأشياء من وجهة إنتاجيتها كتاب الله وسنة رسوله ، فما اتفق معهما فهو عمل ( صالح ) أو إنتاج له منفعة ، وما نهى عنه فليس بنشاط اقتصادى إذ يؤدى إلى تفكك هذا التكافل ، وما استحدث من أمر فمرده إلى نفس المنطق : مدى مايجنيه المجتمع من نفع نظير ما بذل من مجهود .

ولقد استشعر الإسلام أن الإنتاج لا يكون فقط لإشباع رغبة ، إنما يقصد به الاستبدال لإشباع الرغبات ، فالذى ينتج ورقا أو منسوجات لاينتجها لإشباع رغبته فى الورق والمنسوجات ، ولكن ليستبدل بها مايحتاجه من لوازم الحياة . من أجل هذا ربط الإسلام الإنتاج بالتداول أوثق رباط حينما شرّع للأفراد ما يُلزمهم الإنفاق ومايحرم عليهم الاكتناز Hoardiup ، بل لقد شق الإسلام بطن الغيب فنظم التداول ( وهو الوساطة بين الاستهلاك والإنتاج ) بما يحاول اقتصاديو الغرب أن يصلوا إلى مثيله ، تنظيما من شأنه ألّا ينصرف الفرد إلى تعويق الإنتاج أو الحد من الاستهلاك ، ورتّب على هذه الواسطة توازنا دائماً بين الأمرين ، يحقق أكبر منفعة للفرد وللجماعة فى آن واحد .

وقبل أن نستطرد فى وصف النظام الاقتصادى الإسلامى يحسن أن يتبيّن القارئ بعض الحقائق الاقتصادية الأولية .

أساس المبادلة :

الأصل فى الجماعات البدائية التى مازالت على الفطرة ، والتى يعيش أفرادها مشتتين متفرقين أن يكون الإنتاج لإشباع الرغبات مباشرة ، فالفرد يصطاد الحيوانات

ليأكلها أو ليستخدم جلودها سكنا ولباسا ؛ وإن رعى الحيوانات ، فهو فى الأغلب يهدف إلى إشباع مباشر ، فإن اقتضته الظروف أن يلتمس حاجة لاسبيل إلى أن ينتجها بشخصه لجأ إلى المقايضة ، فيبادل مَنْ عنده فائض من هذه السلعة التى يرغب فيها نظير فائض صيده أو ماشيته . فلما أن ارتقت البشرية بعض الشيء ابتدأ التخصص وزاد إنتاج الشخص حتى صار ينتج للأسواق ، وكان هذا منذ عهد سحيق ، واستلزم هذا التخصص اختراع وسيلة تسهل المقايضة وتجعلها ممكنة ، إذ لا يخفى أن من عنده جمل مثلا يريد أن يستبدل به سلعاً أخرى ، سيلاقى الأمرّين فى سبيل ذلك ، فللجمل قيمة ليست صغيرة ولا سبيل إلى تجزئة الجمل ، فإذا أراد أن يستبدل به ثوباً ونعجة وسكيناً وآنية مثلا ، فيجب أن توجد هذه السلع جميعاً لدى فرد واحد أو أفراد يقبلون أن يأخذوا الجمل (على الشيوع) فيما بينهم ، كما يجب أن تكون قيم هذه الأشياء مجتمعة مطابقة لقيمة الجمل . وواضح أن توافر مثل هذه الشروط ليس بالأمر الهين سواء أكان ذلك فى مجتمع بدائى أو مجتمع راقٍ متحضر .

### النقود :

ألجأت حاجة الاستبدال إذن — وهى الناشئة من التطور نحو التخصص — إلى استعمال واسطة للتبادل هى ما تواصفنا على تسميته بالنقود ، وقد اتخذت النقود أشكالا مختلفة متباينة ، فآناً هى سلعة ميسورة للجميع كالأبقار لدى الرعاة ، وآناً حجرا أملس استدير بشكل خاص ، وآناً ملحا عزيزا ، وآنا نحاساً مضروبًا ، ودهرا ذهبا لاشكل له ، ودهرا ذهبا سك على غرار معين الخ . ومنذ ابتدأ الإنسان استعمال النقد تعلم الفرد نسبة السلعة إلى غيرها مقيسة بالنقد أو معبراً عنها بهذا النقد . فمن أراد أن يستبدل ثوباً بآنية تصور طول ما يمكن أن يضحى به من النسيج مقابل الآنية التى يبغى الحصول عليها ، ومن هذه النسبة اشتق قيمة النسيج بالنسبة للنقد كائناً ما كان ذلك النقد : غنما أم ملحا أم ذهبا ، فهو إذن ( يبيع ) هذا القدر الفائض من نسيجه : أى يتنازل عنه ، نظير قدر معلوم من النقود يستعمله فى ( شراء ) الآنية : أى يستبدله مرة ثانية للحصول على مايريد . انقسمت إذن عملية المقايضة باستخدام النقود إلى قسمين : بيع وشراء ، وسهلت إذن عملية المقايضة إلى حد كبير . والمهم هنا

هو أن نثبت بصورة لاتقبل الجدل أن المقصود من النقود هو تسهيل المبادلة لا أكثر ولا أقل ، وأن النقد فى ذاته منذ البداية لعب دور ( الوكيل ) مع ( موكله ) وهو السلعة .

وثمّ أمر آخر نلفت إليه النظر وهو أن كل بيع فى الأصل إنما قصد به شراء ، فصاحب النسيج لم يقصد إلى التخلص من نتيجة عمله وإنتاجه إلا أن يشترى سلعا أخرى ، فقد يشترى بالناتج عملا ( أجور عمال ) أو مادة أولية يصنع منها النسيج ( صوفا أو قطنا ) أو آلة جديدة ، هذا عدا مايحتاجه كفرد من سلع تشبع رغباته الخاصة : من مأكل ومشرب ومسكن وغيرذلك . هذه النقطة بالغة الأهمية لأن عملية فصل المقايضة باختراع النقد أتاحت للبائع فرصة تأجيل الشراء والإمساك عنه ، إذ بمجرد تمام عملية البيع يتخلص المنتج مما عرضه من إنتاج ويحتاز ( حقا ) ممثلا فى الثمن الذى قبضه نقداً يخول له ( الشراء ) حسبما أراد . وهذا مصدر كبير من مصادر الخطر فى النظام الاقتصادى ؛ إذ كل بيع يجب أن يتبعه شراء ، ومخالفة هذه القاعدة تؤدى إلى بقاء كثير من السلع الأخرى فى يد منتجها . وحتى يتضح الأمر تماما نفرض أن مجتمعا مّا يضم الفردين السابقين : منتج النسيج ومنتج الآنية ، فلو باع الأول للثانى بعض النسيج واحتجز الثمن لديه لما استطاع الثانى أن يبيع شيئاً ، ولبقيت آنيته فى مخزنه وحاجاته الخاصة غير مشبعة ولعجز عن شراء نسيج جديد ، إذ أنّى له المال وهو لم يتمكن من تصريف سلعته .

إذا وضح هذا المعنى أدركنا معنى أن النقد وكيل فحسب ، وأن استعماله فى أى وجه غير الوجه الذى اخترع لأجله مجاف للحكمة من وجوده ؛ ومجلبة لضرر محقق يحيق بالمجتمع كله بما فيه الفرد الذى أساء استعماله ؛ إذ فى المثال الذى سقناه لن يتمكن صانع النسيج من بيع كميات أخرى من إنتاجه مهما رخص ثمنها ، وسبب ذلك احتجازه للثمن وخروجه عن مبدأ المقايضة الراقى : أعنى ضرورة الشراء نظير البيع . ولعل من لطائف التعبير أن يستعمل الله جل جلاله وتقدس علمه لفظ ( شرى ) بمعنى باع إذ الواقع أن البيع والشراء لفظان لعملية واحدة لم ينفصلا ، أو لم يوجدا إن شئت ، إلا تسهيلا للعملية ذاتها وهى تبادل المنافع ومقايضتها بما يفىء على الناس الخير ويخدم

مصلحتهم ، فما لاشك فيه أن الإنسان لايبادل إنتاجه بإنتاج آخر ما لم يكن فى حاجة إلى السلعة الأخرى التى يقايض عليها ، وما لم تكن تلك الحاجة من الأهمية والإلحاح بحيث يرضى أن يتخلى عن بعض إنتاجه فى سبيل الحصول عليها .

وظائف النقود :

ولنمد الآن إلى النقد بوصفه ( وكيلا ) عن السلعة . معلوم أن الوكيل غير الموكل ولكنه يمثله تماما وله من الحقوق ما للموكل ، وهذا حق يقرره كل منصف عادل . ولكن من الإنصاف أيضا أن نقول : إن على الوكيل من الواجبات والتبعات ما على الموكل ولا تُتصور وكالة بغير هذا الوصف . هذه الحقيقة على بداهتها ووضوحها قد تحورت تماما حتى صارت ( باطلا ) فى حالة استعمال النقود . ولقد نبه الإسلام إلى خطورة هذا الباطل على النظام الاقتصادى خاصة والكيان الاجتماعى المتكامل عامة ، وحذر من التمويه على النفس والغير ومن وخامة عاقبته .

أما كيف شوهت هذه الحقيقة فأمر يلمسه الجميع ، ولو سألت أى فرد سواء أكان ملما بالاصطلاحات الاقتصادية أم جاهلا بها : ماوظائف النقود لابتدرك مجيبا أن النقود وسيلة لاختزان القيم وبها تقاس أيضا ، كما أنها وسيلة لتبادل السلع ، وهى أيضا طريقة تعارف المجتمع عليها لإبراء ذمة المدين .

قد تسمع هذه الألفاظ بنصها أو قد تسمعها بألفاظ أخرى ؛ ولذلك ربما كان من الأنسب أن نوضح هذه المعانى : فأما أنها مخزن للقيمة فذلك تعبير قاله الاقتصاديون القدماء وورثناه مرددين له دون أن ندرى جسامة الخطأ من مجرد تركيبه ، والشخص العادى يقصد منه أن النقد يتيح للفرد أن يختزن ثمن ما باع من إنتاجه ، فلو أنتج فرد سلعة ثم باعها وحصل عى عشر وحدات نقدية ثمنا ، ثم أنفق ثمانية منها لسد حاجاته وأبقى وحدتين فى خزانته فإنه بذلك يكون قد اكتنز وحدتين أو اختزنهما . أما وجه الخطأ فى التعبير الاقتصادى الموروث فهو فى نسبة الاختزان إلى القيمة ، إذ أن لفظ القيمة ــ مهما اختلف الاقتصاديون فى تعريفه وهم كذلك ــ فإنه يعنى نسبة منفعة سلعة إلى منافع باقى السلع الأخرى بالنسبة لفرد من الأفراد . فإن قلت أن هذه الصورة لها قيمة كبيرة عندى ، عنيت بذلك أن نسبة إشباع الصورة لرغبة فى نفسك

إلى إشباع سائر ماتحتاجه من رغبات ، نسبة كبيرة ، وقد يعبر عن هذه النسبة بمدلول جبرى أو بوحدة نقدية ، وسواء أكان التعبير برمز أو بنقد فذلك لا يغير من طبيعة القيمة التى هى نسبة والنسبة معنى أبدا دائما ، واختزان النسبة مستحيل عقلا ، فكيف تكون النقود مخزنا للقيمة إذن ؟

والصفة الثانية أن النقود مقياس للقيمة ، وهذا لاشك أمر ضرورى . فأنت حين تريد استبدال إنتاجك بغيره من إنتاج الناس عن طريق النقد ، إنما تقيس المنافع المرجوة بمقياس النقود . على أن العجيب فى الأمر أن النقد هو المقياس الوحيد الذى ليس بمقياس ثابت ، كما أنه المقياس الوحيد الذى خرج عن معنى القياس . أما كونه ليس مقياسا ثابتا فذلك أن قيمة النقد غير ثابتة فى ذاتها فى المجتمع الاقتصادى غير الإسلامى ، سواء أكان النقد معدنا ذهبا أو فضة أم ورقا . وكلنا يعلم تماما ما يطرأ على قيمة النقود من تغيرات ، فقد يكثر النقد بالنسبة إلى المنتجات فتقل قوته الشرائية وتنخفض قيمته ، وقد يقل النقد بالنسبة إلى مجموع الإنتاج فتزيد قوته وترتفع قيمته . واعجب معى لمقياس للمسافات يطول اليوم ويقصر غدا ، واعجب معى كيف تستقيم الأمور وكيف تكون حال سوق المنسوجات إذا كان المتر بالأمس مائة سنتيمتر فإذا به اليوم مائة وخمسة ، وإذا به بعد شهرين تسعين سنتميتراً فقط . لاشك أن هذا هو الخلل بعينه ، وما سببه إلا استعمال النقد فى غير ماخلق له وهو تسهيل المقايضة والاستبدال .

ليس هذا فحسب ، بل إن النقد كمقياس للقيمة قد تخطى كل وصف لكل مقياس ، ألا ترى مثلا أن ( المتر ) الذى تقاس به المنسوجات لايمكن أن يكون فى حد ذاته إلا رمزا ، أعنى أنه ليس حريرا أو قطنا أو صوفا ، ولكنه رمز لطول معين متعارف عليه ، فإن قلت أن لدىّ ألف متر من الحرير فإنك تعنى طولا معينا ، وإذا قلت : قست الحرير بالمتر عنيت نسبة الحرير إلى هذا الرمز ، فالمتر إذن ليس الحرير ذاته . أما النقد فقد خلعنا عليه صفات السلع جميعا فهو يمثلها كلها ، فإن كان معك دينار ورقا أم ذهبا فإن معك بالفعل سلعا محددة الكمّ وإن لم تكن محددة الكيف ، إذ بهذا الدينار يمكنك أن تشترى مثلا حذاء أو متراً من الصوف أو قلم حبر الخ . وبعبارة أخرى

فإن النقد يختلف عن سائر المقاييس والمعايير بأن له صفة تمكنه من الحصول على سائر السلع والمنتجات بمحض رغبة حائزه . ولست أحسب أن هناك معياراً من المعايير لديه هذه الخاصة ، فمن يملك رطلا وزنا لا يملك رطلا عسلا ، ومن يملك مترا طولياً لا يملك متراً حريراً . . وهكذا .

والصفة الثالثة التي نضفيها على النقد هي كونه أداة المبادلة ، وقد شرحنا هذا فيما سبق ، وأوضحنا أن هذه هي الصفة الأساسية للنقود .

أما كون النقد أداة لإبراء ذمة المدين ، فذلك أيضا مما خلعناه على النقد لتسهيل المعاملات بيننا ، ولا غضاضة في ذلك ، فمن يقترض منك نقدا فعليك أن ترد له دينه ، ومن أخذ منك سلعة فأنت مخير في استرداد سلعتك أو مثيلتها ، أو في تكليفه شراء هذه السلعة . ونظراً لأن المقترض يفضل الحصول على النقود ليحصل بنفسه على السلعة التي يريدها ( والتي قد لا تتوافر لدى المقرض ) فإنه من الطبيعي أن يسترد قرضه في شكل نقود .

هذه هي الوظائف الأربعة للنقود كما يزعم الاقتصاديون جميعا — غير الإسلاميين ، وأنصار المذهب الاقتصادي الطبيعي (Ecerwmé order natural) — ولننظر كيف صارت النقود وقد أعطيت هذه الصفات العجيبة ( وكيلا ) يملك من الحقوق أكثر مما يملك ( الموكل ) وعليه من الواجبات أقل مما على الموكل .

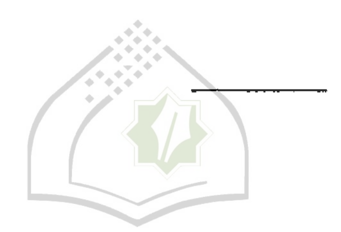
النقود بوضعها الراهن يمكن أن تختزن إلى ما شاء الله وشاء مالكها ، فمن ينتج نسيجا يستطيع إذا باعه أن يضع الثمن الذي قبضه أو بعضه في خزانة حديدية تحت الأرض ( أو في مصرف ـ بنك ) سنوات طويلة وعمرا مديدا ، حتى إذا عاد إليه وجده كما تركه عداً وكيفا لم ينقص منه شيء . هذا إذا كان صاحبنا لا يتقاضى فائدة على ماله ، فإن كان يتقاضاها فإنه سيجد أن المال قد زاد بمقدار الفائدة . ولا شك أن هذا أمر لا يسيغه المنطق الذي دللنا عليه في مستهل هذا البحث ، إذ النقد وكيل عن السلعة فحسب ، والسلعة كائنة ما كانت لا يمكن أن تبقى عشرات السنين دون أن تنقص قيمتها ، فلو أراد منتج النسيج أن يختزن بعض فائضه لمستقبل عمره فعليه أن يستأجر مخزنا وأن يدفع تأمينا ضد الحريق والسرقة ، وأن يستعمل مساحيق كيمائية تقي النسيج

فعل العث والحشرات ، وأن يجرد المخزن من آن لآخر ليتأكد من سلامة المختزن فيه .

ثم بعد كل هذه الاحتياطات لامشاحة فى أن النسيج سيبلى رويداً رويداً ، وستذهب جدته وتقل رغبة الناس فيه من حيث المتانة والمظهرية ( المودة ) . وبعبارة أخرى لايمكن اختزان سلعة كائنة ماكانت دون أن تتدهور قيمتها . والسلعة هى الموكل الأصلى ، هى أساس الحياة الاقتصادية ، هى السبب فى خلق النقود ، هذه السلعة لاتستطيع أن تعيش دون أن يصيبها الوهن ، وتنسحب عليها سنة الفناء ، أما (الوكيل) الممثل لهذه السلعة فقد أكسبناه حصانة ضد عوادى الزمن وعوامل التدهور ، لابل قد انتهجنا نهجا من شأنه أن يزداد ويربو ، فيفيد صاحبه من حيث كان اختزان السلعة المنتجة ( الموكلة ) يؤدى إلى خسارة محققة ، ونفقة ليست بالقليلة .

( يتبع )

---



قال ابن عباس رضى الله عنه :

« إن للحسنة لنوراً فى الوجه ، وقوة فى البدن ، وزيادة فى الرزق ، ومحبة من الخلق .

وإن للسيئة لغبرة فى الوجه ، ووهنا فى البدن ، ونقصا فى الرزق ، وبغضا من الخلق » .

# لنفع تجارب الدعاة

## بإشراف الأستاذ عبد البديع صقر

[ نفتتح هذ الباب — على بركة الله — نعرض فيه من الوقائع الطريفة التى صادفها الدعاة إلى الله ، ما يُمين المبتدئين ، ويكون تذكرة للعاملين .

ونحن ندعو الإخوة القراء إلى المشاركة فى تحرير هذا الباب الذى تتعهده لجنة من قدامى الدعاة بإشراف الأستاذ عبد البديع صقر .

ونرجو كل من يرسل كلمته للمجلة أن يراعى الملاحظات الآتية :

١ — أن تكون مختصرة بقدر الإمكان .

٢ — أن تسند الوقائع إلى أشخاصها وأماكنها الحقيقية ، ويذكر تاريخها إن أمكن .

٣ — أن يكتب المرسل اسمه وعنوانه ؛ وإذا رغب فى ألا تنشر الأسماء يجاب إلى طلبه .

وكل من تنشر تجربته فى الباب تقدم له إدارة المجلة أعداد نصف سنة هدية من « المسلمون » ] .

« التحرير »

### سل عن الرفيق قبل الطريق

كان ذلك فى سنة ١٣٦٨ ﻫ ( ١٩٤٨ ) م

فقد ركبت القطار من الزقازيق . . ورأيتُ إلى جانبى « أفنديا » توسمتُ فى وجهه الصلاح . . فرأيتُ أن أقطع الوقت بحديث نافع معه . . وأى حد يستبد بفكر الداعية إلا أن يعرض دعوته ويوجه النظر إليها ويثير الاهتمام بها ! ! فبدأتُ بسؤاله عن الصحة والأحوال حتى أنستُ إليه ووجدتُ فيه حيوية وتذمُّراً من الواقع الأليم فى المجتمع . قلت له : لابد من التكاتف وضم الجهود . قال : « على أى أساس » قلت : على أساس الفكرة الإسلامية . . فأصغى إلىَّ إصغاء حسناً .

واستطردت أحدثه فى غير توقف ، وشرحت له كيف تكتل الاستعمار علينا ، وعمل

على نشر التبشير فى كل مكان . . وكيف أن التبشير عندهم ليس صادراً عن ورع ولا عن عقيدة دينية ، بل هو عمل سياسى ماكر . .

ألا ترى كيت وكيت من أعمالهم فى مصر ؟ . . ألا ترى جنوب السودان ؟ ...

وانتقلت من ذلك إلى تنظيم جماعتنا التى تدعو إلى الله ، وكيف أننى توسمت فيه أن يضع يده فى يدى لنتعاهد على نصرة الإسلام باعتباره المنهاج الأمثل للحياة ، ونظاماً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً لا نظير له . .

ثم إن القطار وقف على محطة أبى كبير فأخذت حقائبى وقلت له : أعطنى اسمك يا أخى إذن . فقال فى هدوء : « إبراهيم غبريال » .

« عبد البديع صقر »

## الوعاظ المتسولون

من الصعوبات التى يواجهها الدعاة فى القرى مسارعة المصلين إلى الخروج من المسجد حالما تنتهى الصلاة ، وخاصة إذا سمعوا خطيباً يشرع فى إلقاء كلمة ... ولعل السر فى هذا ما اعتاده بعض المتسولين من محترفى الوعظ والخطابة من سؤال الناس فى هذه المواقف ...

وقد لاحظت هذه الظاهرة فتنبهت لها ، ولكن هذه التجربة علمتنى ألاّ بدّ من الاحتيال بغير ما يتبادر إلى الذهن من وسائل فى بعض الحالات :

كنت فى زيارة صديق فى قرية ( الخضر ) من قرى القدس ... ثم توجهت معه إلى مسجد القرية وقد حملت تلك المسألة فى حسابى ، فرأيت أن أبتكر وسيلة أستبق بها المصلين ريثما أبلغهم دعوتى ، فاستفتحت بعد الصلاة قائلا : « أيها الناس ، أيها المصلون الكرام ... ما جئنا نسألكم مالاً ، ولا نطلب منكم شيئاً من عرض الدنيا .. إن أجرنا إلا على الله ربنا . . . ما جئنا إلا لنبلغكم دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . » ومضيت فى كلامى ...

وبالرغم من تلك المقدمة ، رأيت بعض المصلين يتسللون سراعاً منصرفين ، ووقف بعضهم متردداً بين التلبث والخروج . . . إلا أن واحداً منهم قطع تردده فتقدم نحوى فالتمس يدى وفى كفه قطعة صغيرة من النقود ! . .

وعجبت لهذا التصرف ، ورددت بلطف قطعة النقود على صاحبها ، وأتممت حديثى للناس .

وفيما أنا عائد مع صاحبي أفضى إلى وهو يبتسم بما ضاعف دهشتي ؛ فقد قال : الغريب أن كثيراً ممن يأتينا من الوعاظ المتسولين يستهلون كلامهم بمثل ما قلتَ آنفاً ! .

« سالم على سالم »

## لا بد للإخلاص من فطنة

منذ عامين تقريبا ذهبت إلى قرية من أعمال مديرية الغربية فى مصر لتكوين شعبة للدعوة هناك . وتوجهنا للمسجد الجامع . . وقبيل الخطبة وقف شاب وسيم — عرفت فيما بعد أنه ابن العمدة ونائبه — فطلب من الناس الاشتراك فى جمعية التعاون الزراعى ، وجعل يشرح لهم فوائدها من حيث أنها تبيع المحاصيل بأسعار أفضل ، وتمد الفلاح بالبذور والسماد وتعطى سلفا للمحتاجين ، ثم هى تساهم فى إصلاح الطرق وبناء القناطر . . . إلى غير ذلك . .

وساءنى أن يتخذ الرجل من بيت الله مكانا للإعلان عن جمعية كل أغراضها دنيوية هكذا . فصبرت على مضض حتى انتهت الصلاة وقمت منفعلا فعلقت على حديث الشاب قائلا « لا ينبغى أن يتخذ المسجد مكاناً للإعلان عن هذه المسائل إنما بنيت المساجد لعبادة الله تعالى » .

وبدأت أعرض فكرة الدعوة الإسلامية التى أعمل لها فقلت للناس « نحن جماعة ربانية . . نحن ندعو إلى تربية جيل فاضل يتحلى بالخلق الإسلامى القويم . . وأول الطريق معرفة حقائق الإسلام التى شوهتها أكاذيب التاريخ وجور الحكام ، وانتقلت من ذلك إلى القول بأن الجماعة إذا استقام أمرها واشتد عودها فستقوم بكل ضروب الإصلاح الاجتماعى بالبلدة . . فتبنى القناطر المهدومة وتنير الطرق المظلمة .

وهنا وقف الشاب « نائب العمدة » وقال : « ألا قل لى يا سيدنا الأفندى . . . إنك لم تجز كلامى فى الجامع ولكنك مع ذلك تقول نفس الكلام وهو تصليح الطرق وبناء القناطر . . . هل يحرم الدين علينا حاجات ويحللها لكم ؟ » .

ولم يترك لى فرصة للرد ، بل قال للمصلين أن قوموا ودعوا الكلام الفارغ . . فقاموا جميعا وتركونى قائما فى المسجد . .

قال لى الأخ المرافق : « لا بد لإخلاص الداعية من فطنة تحميه » .

قصة تمثيلية :

# أصحاب الغار

للأستاذ على أحمد با كثير

## ( ١ )

[ رعد قاصف ومطر ]

يوسف : هلمّ يا هارون دعنا نسرع السير .

هارون : لكن متّى متخلف عنا .

يوسف : إن متّى لا يريد أن يلحق بنا .. إنه يتعمد البطء فى السير .

هارون : ما يكون لنا أن نترك رفيقنا يا يوسف . [ ينادى ] متّى ! متّى !

متّى : [ صوته من بعيد ] هارون !

هارون : ماذا تصنع هناك ؟ . أسرع والحق بنا !

متى : انتظرا قليلا !

يوسف : ننتظر ! أننتظرحتى يدركنا السيل ونحن فى هذا الوادى فنهلك ؟

هارون : ها هو ذا قد أقبل إلينا ...

متى : من رأيى يا صاحبيّ أن نقف هنا عن السير .

يوسف : لكى يطوينا السيل إذا جاء ؟ أتريد أن تهلكنا يا رجل ؟

متى : بل أنت الذى تريد أن تهلكنا برأيك السقيم . ليس فى وسعنا أن نسبق السيل إذا أقبل ، ولكن فى وسعنا أن نتقيه .

يوسف : وكيف نتقيه ؟

متى : نلجأ إلى ذلك الغار فى سفح الجبل .

[ يُسمع هدير السيل من بعيد ]

هارون : وَىْ ! اسمعا . . هذا السيل قد أقبل ! هذا هديره !

متى : هيّا بنا . أسرعا !

يوسف : لـكن . لـكن هذه الصخرة المتقلقلة على فم الغار

متى : ما بالها ؟

يوسف : ألا تخشيان أن تقع فتنطبق علينا فيه ؟!

متى : هذه الصخرة ظلّت واقفة هكذا منذ دهور .. أفلا تسقط إلا يومنا هذا ؟

يوسف : من يدرى ؟

متى : أوه . إذن نموت جميعاً ونستريح من صحبتك !

هارون : رويدكما . . لا وقت عندنا للملاحاة . . إلى الغار وليفعل الله ما يشاء .

( ٢ )

( داخل الغار )

متى : انظر يا يوسف . . لو لم ندخل هذا الغار لجرفنا هذا السيل الهائل .

يوسف : وإذا انطبقت هذه الصخرة علينا ؟

متى : [يقهقه ساخراً] حينئذ أعترف بصواب رأيك !

هارون : ويلـكما . . أليس خيراً من هذه المجادلة أن نذكر الله سبحانه وتعالى وندعوه أن يحسن عاقبتنا ؟

[ تُسمع قرقعة ]

هارون : وَىْ ! ما هذا ؟

يوسف : هذه الصخرة تتحرك !

متى : فأل الله ولا فألك !

يوسف : ها هى ذى انطبقت !

هارون : لا حول ولا قوة إلا بالله !

يوسف : ألم أقل لـكما أنها غير ثابتة وتوشك أن تقع ؟ دبر لنا الآن مخرجا يا متى !

متى : لو بقينا فى بطن الوادى لـكان هلا كنا محققا !

يوسف : وهلا كنا الآن غير محقق ؟!

***

هارون : كفى مراء ومجادلة ! ما أظن هذا الذى أصابنا إلا عقوبة لـكما من الله على هذا الجدال واللّدد .

يوسف : لا حق لك يا هارون أن توجه اللوم إلىّ . غيرى هو الملوم

هارون : بالله عليك يا يوسف دعنا من هذا الآن . ما ذا تصنع هناك يا متى ؟

يوسف : إنه يحاول أن يزحزح الصخرة !

متى : لا تسخر منى يا يوسف.

يوسف : أنا لا أسخر ولـكن هذه قطعة جبل لا يقدر أن يزحزها ولا مائة رجل.

هارون : تعال يا متى اجلس قريباً منى . إننا لا محالة هالـكون إلا أن يتداركنا الله بلطفه . اقترب منى أنت أيضاً يا يوسف .. هات يدك

يوسف : هاك يدى .

هارون : تصافيا أولاً وتسامحا ، فإن الله لن ينظر إلينا وبيننا هذه القطيعة .

يوسف : سامحنى يا متى .

متى : سامحتك . وأنت سامحنى يا يوسف .

يوسف : سامحتك .

هارون : والآن اصغيا إلىّ . لقد سمعت من بعض علمائنا العارفين أن أحسن مايدعو به المرء ربه أن يتوسل إليه بصالح أعماله ؛ فليذكر كل واحد منا أصلح عمل عمله فى حياته فليدعُ الله به .

متى : ابدأ أنت يا هارون.

يوسف : أجل . . أنت أصلحنا نحن الثلاثة .

هارون : الله وحده هو الذى يعلم أيُّنا الأصلح ، وإنى لـكثير الذنوب جم الخطايا وما أعرف لى من عمل صالح اللهم ما كان من بَرى بوالدىّ الـكبيرين .

متى : فاذكر ذلك فبر الوالدين من أفضل الأعمال

هارون : كان من عادتى إذا رجعت من المرعى أن أحلب فأسقى أبوىّ الكبيرين أولاً قبل زوجى وأولادى وقبل أى واحد فى الدار . وذات يوم تأخرت فى المرعى ولم أعد إلى أهلى إلا بعد ما أمسى المساء

***

الزوجة : ما ذا أخرك يا هارون اليوم ؟

هارون : نأى بى الشجرُ ياحنةّ فأبعدت . أين أبى وأمى ؟

الزوجة : انتظراك طويلا حتى غلبهما النوم فناما .

هارون : ويحهما . . ناما قبل أن يتعشيا .

الزوجة : هات هذا الذى حلبته لأسقيه للأولاد فإنهم يتضاغون جوعا .

هارون : كلا يا حنة . . لن أسقى قبلهما أحداً .

الزوجة : اسق هذا لأولادك ثم احلب لأبويك حين يستيقظان .

هارون : كلا لن أخل بعادتى معهما أبدا .

الزوجة : إذن فأيقظهما واسقهما ثم احلب لأولادك .

هارون : لا ينبغى أن أزعجهما من نومهما الساعة .

الزوجة : فماذا أنت صانع ؟

هارون : سأبقى هنا واقفا حتى يستيقظا فأقدم لهما اللبن .

الزوجة : ويحك ما هذا الذى تصنع ؟ لِمَ تلصق الصحفة هكذا ببطنك ؟

هارون : ليبقى اللبن دفيئاً يا حنة . اذهبى أنت إلى الأولاد .

الزوجة : ماذا أصنع لهم ؟

هارون : عللهم حتى يناموا .

***

متى : ومتى استيقظ أبواك ؟

هارون : حينما برق الفجر .

يوسف : وبقيت طول الليل واقفا بصحفة الحلاب ؟

هارون : نعم وأنا أضمها إلى بطنى من تحت الثياب .

متى : طوبى لك يا هارون . . ما سمعنا بولد بر والديه كهذا قط .

هارون : [ يدعو مبتهلا ] اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه !

متى : انظر يا هارون ! الصخرة انفرجت !

يوسف : أجل . . هذا الوادى قد ظهر !

هارون : اللهم لك الحمد !

متى : وَىْ . لكنا لا نستطيع الخروج بعد .

هارون : فاذكرا أنتما الآن أرجى عمل عملتماه .

متى : ابدأ أنت يا يوسف .

يوسف : بل تبدأ أنت . أنت أفضل منى .

متى : كلا بل أنت أفضل .

هارون : لا بأس . . ابدأ أنت يا يوسف .

يوسف : ماذا أقول ؟

هارون : اذكر ما تعرف . . لا تحقر شيئا من العمل فإن الله لا يحقر شيئا .

يوسف : فى بالى شىء ولكنى أستحى أن أذكره .

هارون : ويحك إن العمل الصالح لا يُستحى من ذكره .

يوسف : إنه يمس عرض قريبة لى .

هارون : نعاهدك ألا نفشى هذا السر لأحد .

يوسف : كانت لى ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء وكنت فقيرا فزوّجها أهلها لغيرى فظل حبهاناميا فى قلبى . وسعيت فى طلب الرزق حتى أصبحت غنيا فوسوس لى الشيطان أن أغريها بالمال فاستعصمت منى ، إلى أن ألمت بها سنة من السنين فجاءت تطلب عونى .

* * *

يوسف : مرحبا بك يا أليشبع ! لعلك رضيت اليوم عن ابن عمك المدله بحبك !

هي : هات يا يوسف الستين ديناراً التي وعدتني بها .

هو : وتجودين عليّ بوصلك ؟

هي : إذا أردت .

هو : خذي إذن عشرين ومائة دينار وإن شئت يا حبيبتي زدتك .

هي : لا يا ابن عمي . . . هذا يكفي وزيادة .

هو : هاك يا منية النفس !

هي : جزيت خيرا يا يوسف . . ستحيي بمعروفك هذا زوجي وأولادي !

هو : لا تذكري زوجك الآن !

هي : ويلك يا يوسف . أتغار أنت من زوجي وزوجي لا يغار منك ؟

هو : ماذا تقولين ؟

هي : لقد استأذنته فأذن لي !

هو : أذن لك !

هي : والدمع في عينيه خشية أن يموت أطفاله جوعا .

هو : إذن فقد جعلنا في حل منه ، فهلمي يا حبيبة القلب نستمتع !

هي : [ يطفر من عينيها الدمع ] أنا طوع أمرك !

هو : لكنك تبكين . . . ما خطبك ؟

هي : إني أخاف الله رب العالمين !

هو : يا ويلي من كافر بنعمة الله . تخافينه أنت في الشدة ولا أخافه أنا في الرخاء . والله لا تمس يدي ثوبك أبدا !

هي : والمال يا يوسف . . . خذه إذن .

هو : كلا يا أليشبع . قد وهبتك إياه لوجه الله . ارجعي به إلى أولادك .

هي : لكن زوجي سيظن أنك . . .

هو : مالي ولزوجك ؟ إني لا أخافه ، بل أخاف الله رب العالمين .

* * *

متى : وانصرفت بالمال من عندك ؟

يوسف : نعم وإن قلبي ليذوب إليها شوقا [ يدعو مبتهلا ] اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه !

متى : [ هاتفا ] الصخرة تتزحزح !

هارون : اللهم لك الحمد !

متى : هاهى ذى السماء ! أستطيع أن أرى السماء !

يوسف : الحمد لله .

متى : لكن واحسرتاه . . . الخروج متعذر بعد .

هارون : هات أنت يا متى الآن .

متى : ما عندى غير عمل واحد مرجوّ عند الله وكنت أحب أن أحفظه سرا بينى وبين ربى .

يوسف : اذكره يا متى وتوسل إلى الله به .

متى : كانت لى مزرعة فيما مضى فاستأجرت ذات يوم أجراء ليعملوا فى أرضى، فلما انقضى النهار أعطيتهم أجورهم ما خلا واحداً اسمه سليمان أبى أن يأخذ أجره مستقلاً إياه . وأردت أن أزيده فأعرض عنى ومضى . فوقع فى قلبى من ذلك هم عظيم . وبحثت عنه فى كل مكان فلم اعثر له على أثر ، فبدا لى أن أثمر له أجره هذا؛ فإذا الله يبارك فيه حتى نما وتكاثر . وجاءت جائحة فأتت على مالى فلم يبق فى يدى غير مال سليمان هذا فصارت زوجتى تحرضنى على الأخذ منه .

***

هو : كلا يا تامار . . . إنه مال ذلك الأجير .

هى : أنت الذى ثمرته ونميته .

هو : لكن الأصل حقه هو وقد بارك الله له فيه . ولو كنت خلطته بمالى لأتت عليه الجائحة فيما أتت .

هي : خذ من هذه الأنعام ولو شاة واحدة تذبحها لنا في العيد لتوسع بها على العيال .

هو : كلا والله لا أمس منها شيئاً حتى يجيء صاحبها .

هي : ومتى يجيء صاحبها ؟ لعله قد مات .

هو : إن يكن قد مات فلعلي أهتدي يوماً إلى ورثته فأسلمها لهم .

* * *

يوسف : وهل جاء صاحبها يا متى ؟

متى : نعم جاء سليمان بعد خمس سنين .

* * *

سليمان : متى ! متى ! ألا تعرفني ؟

متى : من ؟ سليمان !

سليمان : أجل .. أنا سليمان .

متى : أين كنت يا أخي ؟ لطالما بحثت عنك .

سليمان : لتستأجرني مرة أخرى فتظلمني حقي ؟

متى : بل لأعطيك حقك . والله لقد بحثت عنك في كل مكان .

سليمان : لتعطيني صاع الأرز الذي تركته لك ؟ اعلم يا متى أن الله قد أغناني اليوم عن ذلك الصاع !

متى : تعال انظر ! أترى هذه الأنعام ورعاءها ؟

سليمان : أجل .. قد أثريت يا متى بعد !

متى : كلا .. هذه ليست لي يا سليمان .. هذه كلها لك أنت قد ثمرتها من صاع الأرز الذي رفضته !

سليمان : ماذا تقول ؟

متى : ظلت أمانة عندي فخذها اليوم وأرحني من حفظ أمانتك .

سليمان : لا تستهزئ بي يا متى فلست اليوم فقيراً فأحتمل سخريتك .

متى : إنى والله لا أستهزئ بك .

سليمان : أحقاً ؟

متى : إى والله الذى لا إله إلا هو إنها لمالك .

سليمان : ما أعظم أمانتك . سأترك لك نصفها يا متى .

متى : لا وجزاك الله خيراً .

سليمان : ربما تحتاج إليها .

متى : ويحك يا سليمان أتراني كنت أحفظها لك لو لم يغنني الله عنها ؟

* * *

يوسف : واستاق الأنعام كلها ؟

متى : نعم ، وغاضبتنى زوجى شهراً لا تكلمنى من أجل أنى رفضت ما عرض سليمان علىّ . وقلت لها إن الله هو الواهب الرزاق .

هارون : طوبى لك يا متى . هذا والله أعظم من عملى وعمل يوسف ، فادع الله به أن يفرج عنا ما نحن فيه .

متى : اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه .

يوسف : انظرا ! الصخرة تتقلقل من مكانها ! يا لله ! إنها تدحرجت !

[ يُسمع تدحرج الصخرة إلى أسفل ] .

هارون : اللهم لك الحمد !

متى : الحمد لله رب العالمين !

« ستار »

---

ما كل ذى حاجة يدركها كم من يدٍ لا تنال ما طلبت
من لم يسعه الكفاف معتدلاً ضاقت عليه الدنا بما رحبت

« أبو العتاهية »

# حول السياسات الاقتصادية

للأستاذ عيسى عبده إبراهيم

أستاذ إدارة الأعمال بكلية التجارة بجامعة إبراهيم

## ( ٥ )

## رءوس الأموال

أشرنا إلى أن الثروة هى الأموال كما قال الأولون ، وهى الطيبات التى تشبع الحاجات كما يقول المحدثون .

وتمتاز كل طيبة بعدد من الخصائص التى تؤهلها لإشباع الحاجات . والإشباع هو سد النقص الذى يشعر به الإنسان كـكائن حى ، أو هو تخليص النفس البشرية مما يلم بها من الضغط نتيجة للشعور بإلحاح الحاجات الطبيعية .

ويتراوح تصرف الفرد فى معاملته لما بين يديه من الطيبات بين حدين : أحدهما الإسراف فى الصوم عن المتاع ، وهذا هو الشح ، والحد الآخر هو الإسراف فى استهلاك الطيبات إلى حد السفه ، ومن هنا يضطرب الميزان المالى ويغرق المسرف فى الديون وتستذله حاجته إلى ما عند غيره من المدخرات . وقد رسمت لنا الشريعة السمحاء خطة واضحة حين وصفت المؤمنين الصادقين بأنهم قوم لا يسرفون ولا يقترون .

فأما النفقة الجارية للعيش باعتدال فهى مادة النشاط الاقتصادى المستمر ، ومنها تتألف الأرزاق أو ما يسمى الآن بالدخل الأهلى وهو جملة إيردات الأفراد ، وإن شئنا الدقة قلنا إيرادات الأسر ، باعتبار أن الأسرة هى الوحدة الماشية فى المجتمع الصالح .

وأما المدخرات فهى ما نعفيه من الاستهلاك ، أى ما ندعه جانبا من الطيبات لننتفع به آجلا ، أولننفع به غيرنا من بعدنا . وهذا هو رأس المال .

إذن رأس المال هو الطيبات المدخرة .

وينبغى لنا أن نفرق بين رأس المال المستغرق فى غرض بعينه أو المجمد فى سبيل بعينها ، وبين رأس المال الحر الطليق .

فأما القسم الأول ( أى المجمد ) فيتمثل فى جملة ما ادخرته جماعة أو أمة من الطيبات التى أنتجتها وخصصتها لإشباع الحاجات غير العاجلة ، أو لإنتاج طيبات أخرى . فالمرافق العامة كالطرق والكبارى والموانى والمدن من رءوس الأموال المجمدة فى سبيل تيسير العيش ورفع مستوى الرفاهة . والمصانع والأراضى المستصلحة من رءوس الأموال المخصصة لإنتاج طيبات أخرى تساهم بدورها فى رفع مستوى الرفاهة .

وأما القسم الثانى فيتمثل فى القوة الشرائية الطليقة من قيود النوعية ، أى الطيبات التى تقبل فى التداول فى كثير من اليسر كالسبائك الذهبية وما فى حكمها من الأوراق المالية ونحوها .

وقد ينصرف الذهن إلى القسم الثانى دون الأول إذا أردنا المعنى الضيق لعبارة « رأس المال » على أن المعنى الأعم يشمل كليهما . فنقول مثلا إن رأس المال الأهلى لمصر هو نحو ثلاثة آلاف مليون جنيه . ورأس المال الأهلى لإنجلترا هو خمسون ألف مليون جنيه . وقد يقال أيضا « الثروة القومية » بدلا من رأس المال القومى أو الأهلى .

ومن الباحثين من يدخل المقدرة البشرية للشعب فى حساب الثروة القومية .

والذى يعنينا من هذا العرض هو التنبيه إلى أن رءوس الأموال ليست فى الأصل تلك الأوراق النقدية أو حسابات الإيداع فى المصارف .

وهذه هى القضية الثانية التى نريد توجيه النظر إليها فى عصرنا هذا . فقد تفشت بيننا فكرة سقيمة عن رأس المال ، وألحت على الكثرة الغالبة منا فقبلها ببساطة ، واطمأن إليها حتى إنه لا يكاد يجرؤ على تحرير ذهنه منها . وآية ذلك أننا إذا تكلمنا عن رءوس الأموال تزاحمت أمامنا صور المصارف فى المحل الأول والأخير . ويترتب على ذلك أننا

نؤمن الآمن ونعلم أبناءنا أن رءوس الأموال قد تركزت فى وجود البنك الأهلى ، والكريدى ليونيه ، والبنك العثمانى وما إليها من منشآت الاستعمار .

ويترتب على ذلك أيضاً أننا قد أصبحنا نؤمن بأن الاقتصاد الأهلى ، أى جملة النشاط فى سبيل إنتاج الثروة وتوزيعها قد أصبحت ترتكز على وجود هذه المنشآت العاتية .

فلا سلامة إذن ولا رجاء إلا إذا اتخذنا من هذه المنشآت قبلة نتجه إليها . فلاعفا الله عمن أشاع هذا الفساد .

ولبيان خطورة هذا الرأى الفاسد ، ينبغى لنا أن نتأمل فى طبيعة « رأس المال » ، فما هو فى الواقع إلا نتاج التفاعل بين العمل وموارد الطبيعة . فإذا قامت جماعة من الناس بغرس الشجر وتعهده حتى صار غابة للأخشاب مثلا ، فإن هذه الجماعة تكون قد بذلت جهداً وحيلة ، أو سخرت قوة عضلية وتكرة تستند إلى شىء من التجربة والمعرفة ، لاستغلال قوة الأرض على الإنبات ، إذا توافرت لها حرارة الشمس والتربة الصالحة . وإذا اتجهت جماعة أخرى إلى تكديس بعض الأحجار على بعض حتى بنت هرماً فقد أوجدت ثروة . وهى ثروة معطلة كالحلى وأدوات الزينة ، إلا أن تكون واسطة لجلب رزق جديد ، كأن يقصد الناس إلى هذا الهرم للزيارة مثلا ؛ فإن الهرم ينقلب إلى ثروة مستغلة أو رأس مال .

ويصدق هذا القول على كل طيبة تتضافر فى إيجادها قوة البشر وحيلته مع موارد الطبيعة ، كإنتاج قوة مضاعفة من انحدار الشلال أو من هبوب الرياح . أو بإيجاد آلة تولد من الجهد أضعاف ما يطيقه البشر .

وفى كل ما ضربنا من الأمثال ، تتواجد الثروة كما يتواجد رأس المال ، بتضافر العمل مع موارد الطبيعة ، ثم الامتناع عن الاستمتاع السريع ، وإلا كان الناتج من عروض الاستهلاك ، كأن ننتج القمح ثم نأكله فى موسمه .

إذن ليست الثروة الباقية ، ورءوس الأموال العاملة المنتجة ، وقفاً على النقود التى يتحكم فيها الجهاز الاستعمارى ويتخذها وسيلة لإذلالنا .

وهنا ينبغى لنا أن ننظر فى خبث الاستعمار الغربى الذى يتخذ من القروض وسيلة لإدخال نفوذه فى أرض لم تكن له من قبل ، ثم يثقل كاهل المقترض بالأصل والفائدة

ثم يضع يده على الصيرفة وأدواتها ، وقد يصل إلى احتكار النظام النقدى كله .

فلم يكن إذن إنشاء النبك الأهلى فى سنة ١٨٩٨ فى أعقاب الاحتلال عملا مجيداً من أعمال الاحتلال ، بل كان حلقة من السلسلة التى أراد بها المستعمر تطويق البلاد ، حتى تقع فى قبضته ، وإنك إذا نظرت إلى أفريقيا كلها لوجدت أنظمة العملة فى كل بلد مرتبطة بأسواق رأس المال الغربية ، على نحو لا يترك للأهلين إلا ما يقيم الأود ، أو يبقى الشعوب ناهضة بأثقالها كما تنهض الدواب بحمل الأثقال . هذا إذا تأدبت ، أما إذا كرهت الاحتلال فإن هذه القيود الخفيفة لا تجدى ، وبالتالى يلجأ الاستعمار إلى الطرق الملائمة كإبادة الأجناس مثلا .

يخلص مما تقدم أن رءوس الأموال هى الطيبات المخصصة بإنتاج المزيد من الثروة. ولم تكن رءوس الأموال ( ولن تكون ) تلك الأحجار أو المعادن أو الأوراق التى يتحكم فيها الغرب فى معظم البلاد الإسلامية ، وهى النقود . .

ومع ذلك فالنقود أقدم من الاستعمار ، بل هى من أقدم مظاهر المدنية التى تركت للمؤرخين أثراً على وجه الأرض من نحو ستة آلاف سنة . فكيف استطاع الاستعمار الذى يرزح تحته العرب والمسلمون جميعاً ، والذى لا يبلغ قرنين من الزمان أن يشيع هذه الفكرة الخاطئة التى تؤمن بها الكثرة الغالبة منا ، وهى مقدرة الغرب على تيسير الأمور إذا هيمن بأدواته على الصيرفة . . . !

هذا الذى نؤمن به الآن من آثار الاستعمار العلمى والتحلل الخلقى الذى انتهينا إليه . ومن أجل ذلك ننبه بكل قوة إلى أن رءوس الأموال ليست مما يجود به الغرب علينا بما ابتدع من الانصاب والأزلام . بل هى الطيبات التى خلقها الله سبحانه ، ودعانا إلى علاجها بقدر ما نستطيع ، فإذا بها قوة هائلة تضاعف من حظنا فى هذه الحياة . وتضاعف من مقدرتنا على دفع العدوان عن أرض دخل أهلها فى دين الله .

لقد كان الربا فى أول أمره نوعاً من الزيادة نظير الأجل ، وكان القرض يقول للمدين أتقضى أم تربى ؟ وكان الدائن يقول أيضاً زدنا نزدك ، أى زدنا من ربا القرض نزدك من المهلة أو الأجل ، وكانت الزيادة عيناً هى الأعم الأغلب . ولكن الصيرفة التى بدأت فى القرون الوسطى على أيدى اليهود من الصاغة قد تطورت حتى صارت ما نراه الآن من منشآت نستودعها فائض الدخل ، لتتجر فيه ، ولتستند إليه فى خلق

نقود الائتمان . فتركزت المعاملات الربوية بحكم هذا التطور فى أعمال المصارف التى أسسها اليهود ، والتى أنكرتها الكنيسة وحاربتها ، ولم تهادنها أبداً ، حتى رأت نجاحها فى الزحف البطىء الخبيث على الدولة العثمانية فسكتت الكنيسة ، ولا نقول بأنها أقرت الصيرفة بنظامها الربوى .

وأصبحنا فى زمننا هذا وقد تعلقت آمالنا ببيوت الصيرفة للحصول على رءوس الأموال كلما أعوزتنا ؛ حتى الحكومات تذل أعناقها من الحاجة إلى ما يسمى فى عرف هذا العصر برءوس الأموال .

وقد يبدو لغير المتخصص أن فى هذا التصوير نوعاً من المبالغة . والحق أن فيه تهويناً لما نعيش فيه من احتلال مالى خطير . ويكفى أن ننبه إلى أن المصارف التجارية ، ومعظمها أجنبى وسياستها العامة تخضع خضوعاً تاماً لأهواء الغرب ، تستطيع أن تخلق من نقود الائتمان ما قد يبلغ عشرة أمثال المودعات . فمثلا إذا بلغت مدخرات الشعب عندنا ثلاثين مليوناً من الجنيهات ، فإن هذه المصارف الأجنبية تستطيع أن تخلق ثلثمائة مليون جنيه من نقود الائتمان التى يجرى التعامل بها فى الأغلب الأعم بالشيكات والقيود والحسابات . وكل ذلك بغير رقيب أو حسيب ولكن لصالح مَن تسخّر هذه الملايين ؟ هل هى تسخر لصالح الشباب الذى يستكمل عدته من الدراسة ويتلمس القليل من رأس المال ليستعين به على تأسيس عمل أو الضرب فى الأرض باحثاً عن خيراتها أو متجراً فى بعض أرزاقها . . ؟ الجواب بديهى ، وإلا ففيم كل هذا العناء من جانب الغرب الذى لا يترك أرضاً للمسلمين إلا ويحتكر فيها الصيرفة ويمسك فى قبضته بمفاتيح رءوس الأموال .

وإذا أردنا أن نعتبر بما مر بنا من تجربة ، فأول خطوة فى سبيل التحرر الاقتصادى واتباع سياسة مالية تحرص على مصالح الناس وتحفظ عليهم أرزاقهم وتعينهم على أن يستكثروا من الخير بالسعى والجد ، أن تكون رءوس الأموال فى تواجدها وتوجيهها واستغلالها فى أيدى أبناء البلاد ، وألا يكون لأعداء الإسلام والمسلمين أية هيمنة أو سلطة على أجهزة الائتمان كما هى الحال الآن . ولكن ماهى رءوس الأموال الأجنبية التى وفدت على بلاد المسلمين وباضت فيها وأفرخت ، ماقصتها وكيف الخلاص منها ، بل كيف نستزيد منها فى كل يوم ؟ . هذا ما نجيب عليه فى كلمة تالية إن شاء الله .

# صوموا تصحّوا

للواء الدكتور أحمد الناقه

خلق الله الإنسان فعدل بدنه، وأنشأ عقله، وسوّى نفسه، ثم نفخ فيه من روحه، واستخلفه فى الأرض. وشاءت حكمة الله أن يبلغ أشده، وتنضج غرائزه عند العشرين، ويكمل العقل عند الأربعين، وأن تتعلق النفس بالتقوى فتهتدى أو تميل مع الهوى فتزل، وأن تزكو الروح بالإيمان فتسعد، أو يضلها الشيطان فتشقى.

ويصح البدن بالغذاء السليم، والعقل بالفكر والتعليم، والنفس بالحرية والإيثار، والروح بالذكر والإيمان. ومن المؤمنين الصالحين ينشأ المجتمع الصالح الذى يحيا الحياة الكريمة الفاضلة كما حدث فى بعض عصور التاريخ وفى ربيع الإسلام استجابة لدعوة الرسل والأنبياء والمصلحين.

وقد استطاع الإنسان أن يغلب أعداء بدنه فأمن الطبيعة والسباع والهوام والحشرات والجراثيم. ثم اهتدى عقله إلى الذرة فزال أمنه وزاد خوفه. ولكنه لم يستطع بعدُ أن يغلب هوى نفسه ولا زيغ قلبه نحو الأثرة والشرك وما بينهما من الشرور والآثام؛ فضاع الرخاء وطار السلام.

ومن فضل الصوم أنه يطب لسوء الغذاء فينفي الأخلاط الضارة، ويشفى أمراض الامتلاء، ويجلو صدأ الذهن فيكون أقدر على الإدراك والفهم، وينهى النفس عن الهوى وشهوة الفرج، ويطهر الروح من حب المال والولد والمنافع. فهو إذن تدعيم وحشد شامل للقوى الجسدية والعقلية والنفسية والروحية، يستعين بها الإنسان على معاشه، والمجتمع على رخائه، والعالم على سلامه.

ولا معنى لسلامة الإنسان إذا لم يسلم المجتمع، ولا خير فى أعضاء قوية لا يربطها جسد سليم، ولا غناء فى لبنات صلبة لا تتساند فى بناء متين؛ وليس كفضائل النفس والروح شيء يوثق العرى، ويشد القواعد، ويصد غوائل الهدم والانحلال

« إنما المؤمنون إخوة » ، « إن هذه أمتكم أمة واحدة » حمايتها فرض على كل مسلم « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

والذين يدعون إلى العزلة إنما يؤثرون السلامة ، ويفرون من مشقة الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقد اجتمعت على المسلمين غوائل شتى من عند أنفسهم كأمراض الأبدان ، وهوى النفوس ، وضعف الإيمان . وأخرى من قِبَل أعدائهم كالمال الحرام ، والعلم الضار ، وعصا الطغيان ومكر الشيطان . وفى شهر الصوم يطيب للمسلمين أن يخلوا للذكر وتلاوة القرآن ، والتفكر فى سوء الحال ووسائل الإصلاح بإيقاظ الغافلين ، وإحباط كيد المفسدين ، وشد أزر المجاهدين الصابرين ، ودفع بغى المعتدين الظالمين .

ومتى انتصر المرء على أشد الغرائز التى تمسك الحياة كشهوة البطن وشهوة الفرج زاده الله صحة للبدن ، وصفاء للذهن ، وتهذيبا للنفس ، ورفعة للروح ؛ فيزداد الجسد قوة ونسلا ، والعقل تدبيرا وفكرا ، والنفس إيثارا وبرًّا ، والروح إيمانا واطمئنانا .

والنهم والدسم يفسد الصحة ، ويمرض الجسم لأمراض شتى : كتصلب الشرايين ، وارتفاع ضغط الدم ، وداء السكر والبدانة والنقرس ، وداء الكبد والقلب ، وضعف الأعصاب . والصوم الحسن الذى يكف صاحبه عن الطعام الغليظ الكثير يشفى من هذه الأمراض وكثير غيرها ؛ وصدق الله ورسوله « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » ، « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » .

والشطط فى الجماع يضعف الجسد ، ويطفىء نور الذهن ، ويشغل الإنسان عن السعى فى الرزق وعن الفكر والذكر . وبذل الهمة والجهد فيما ينفع الناس خير وأبقى .

والفراغ للتأمل والتفكير فى شئون الخلق وسنن الكون ، وتلاوة القرآن والاشتغال بالعلم يهدى للتى هى أقوم لصلاح الأمور ودفع الشرور ، وهداية الناس إلى الحق .

وطاعة النفس الأمّارة بالسوء النزاعة إلى الأثرة ، تغرى المرء بالرذائل والسيئات التى تملأ القلب بالهم والحزن والخوف والغضب والحقد . وهذه المشاعر الخبيثة تضنى البدن ، وتبلى الأعضاء ، وتضر الأنسجة أكثر مما تضرها أنقع السموم ؛ لأنها تثير الغدد ، وتفسد الأخلاط ، وتضعف الشهية ، وتعوق الهضم ، وتزيد النبض ، وتقبض الأوعية ، وتشد العضلات ، وتسد المسالك والقنوات ، وتمهد لكثير من الأمراض كالسرطان وقروح المعدة والأمعاء وداء السكر والقلب ونزيف المخ والأرق والصداع .

والقول بأن الهموم سموم حقيقة واقعة لا مجاز فيها . وترياقها السكينة والرضى والبر ، وإشراق القلب بنور الفضائل والحسنات . وكلها عواطف خير ، تبسط العضل ، وتريح البدن ، وتفتح الشهية ، وتعين على الهضم ، وتنظم النبض ، وتفيد الجسم خيرا مما تفيده أحدث الأدوية التى قد لا تخلو من ضرر : «وننزل من القرآن ما هو شفاء» وإذن ففى الفضائل خير دواء لسموم الرذائل والسيئات .

وزيغ العقيدة يضعف الإيمان ويفتح مزالق الشيطان ؛ فيميل القلب إلى الدنيا وزينتها من الجاه والمال والبنين .

ومن بركات رمضان أنه يعين على صفاء الروح من الأكدار والأوزار ، فتسمو على نزوات البدن وشهوات النفس ونكد الدنيا ، وتجد من حلاوة الإيمان ما يفيض على البدن صحة ، والعقل هدى ، والنفس سكينة .

* * *

والصحة بمعناها الأعم لا تكمل للمرء إلا إذا استمتع البدن بالصحة ، والعقل بالمعرفة ، والنفس بالرضى ، والروح بالإيمان . وإلا إذا انتسب إلى أسرة سعيدة وجماعة رشيدة ، وأمة آمنة فى عالم يسوده السلام . وعلى ذلك فإذا مرض البدن ، أو جهل العقل ، أو سخطت النفس ، أو كفرت الروح بالله وبالحق والخير والقيم العالية ؛ فلا صحة ولا سعادة بين الناس . وكذلك إذا شقيت الأسرة ، أو ضلت الجماعة ، أو خافت الأمة فى عالم يتوقع الحرب ؛ فلا صحة ولا هناءة للبشر .

قال ابن سينا : « الطب حفظ صحة برء مرض » فحدد وظيفة الأطباء تحديداً

سبق به أطباء اليوم بألف سنة ، حين قدّم حفظ الصحة على علاج المرض . وحفظ الصحة يقتضى أن يلم الأطباء بكل ما يتصل بمعيشة الناس وحياتهم ، وألا يقصروا جهودهم على برء المرض ؛ لأنهم رعاة الصحة وحماة الحياة . ولما كانت الصحة بمعناها الواسع العميق لا تتم إلا بسعادة الأسرة ، ووئام الجماعة ، ورخاء الأمة ، وسلام العالم ؛ وجب على الطب أن يُدخل السياسة ضمن نظامه ، ويبذل فيها بعض نشاطه حفظا لصحة المجتمع وحياة البشر .

وعالم اليوم لا يكفل للناس حياة راضية ولا كريمة ، وإنما يوفر لهم عيشة الضنك والشقاء ، وينذرهم بالشر والفناء . وهنا تأتى مسئولية الأطباء عن إنقاذ البشر من التهلكة . فهل هم أكفاء لحمل التبعة وأداء الأمانة التى فى أعناقهم ؟

* * *

والشر فى الناس قديم قام عليه ساسة من الذئاب ، وبثه قادة من الشياطين لا يخشون الله ولا يبغون للناس خيرا ؛ زينت لهم الأثرة أن تشيع فى الأرض الفاحشة والبغضاء والمنكر ، وأن تقوم الفتن والحروب باسم الأجناس والألوان ، وباسم المذاهب والأديان والله يعلم أنها شهوة الجاه والسلطان ، وحب الدنيا وزينتها ، والأثرة البغيضة التى لا ترعى فى الناس إلاًّ ولا ذمة . ولا رجاء إلا بالتوبة إلى الله ، والرجوع إلى الحق ، والعدل والمساواة بين الناس كافة .

ومن نكد الدنيا أن انهارت الحدود وزالت السدود واتسعت صلات أهل الأرض، فأصبحوا جيرانا ولكنهم جيران سوء ، أهدروا حق الجوار بمكر الشيطان.

ومن نكد الدنيا أن كشف العلم أسرار السموم المهلكة والذرة المدمرة من قبل أن يتعلم الناس الجدال بالحسنى ، ويحلوا الوئام والوفاق مكان النفاق والشقاق ، ويخلعوا جلد الوحش وروح الشيطان ؛ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ، بل الذين كفروا فى عزة وشقاق .

* * *

ولا نجاة للدنيا من سوء المصير إلا أن يهدى الله الناس إلى شىء مما يلى :

١ — إنشاء هيئة الأمم المضطهدة ، تحمى المستضعفين فى الأرض ، وتناضل عن حقهم حتى يرجع الجبارون عن غيهم ، ويردوا الحقوق المغتصبة إلى أهلها .

٢ — هدم أصنام السلطان والطغيان والأموال والأجناس ؛ تلك التى يسجد لها فى محراب هيئة الأمم المتحدة أهل النفاق والأثرة من عباد المطامع ، وتجار المنافع وذئاب البشر ، وعصبة الشيطان وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

٣ — دعوة الأديان كلها إلى الجهر بالحق ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونشر الإخاء والمحبة والإيثار ؛ حتى يخرج الناس من سطوة الشهوات ، وطغيان الطبقات ، وزيغ المعتقدات .

٤ — اجتماع رجال التربية والأخلاق والاجتماع والطب وغيرهم من أهل الغيرة على الإنسانية لكى يعدلوا مناهج تعليم الصغار بحيث لا تثير الأحقاد والبغضاء ، ولا تمجد غير المبادئ العليا والأهداف الشريفة والفضائل ومكارم الأخلاق ؛ حتى لا ينشأ الصغار على ضلال آبائهم فتتجدد الضغائن وتعود الفتن وتقوم الحروب !

٥ — وحين ترى الشعوب أن ساستها وقادتها كادوا يوردونها موارد التلف فإنها مستبدلة بهم حكاما صالحين من ذوى الدين والمثل العليا والخلق الكريم .

فلو أن الناس اهتدوا إلى مثل هذا أو خير منه ؛ فبشرهم برحمة من الله ورضوان « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وإن الله على نصرهم لقدير ، ولله عاقبة الأمور .

---

## القول السديد

تكلم وسدد ما استطعت فإنما　　كلامك حيّ والسكوت جماد

فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله　　فصمتك عن غير السداد سداد

« أبو الفتح البستى »

# حامل العطور

## للأستاذ محمود جعفر الجبالى

هذه صورة حبيبة إلى قلبي ، فهكذا سميت ذلك الرجل الذى كان يقف إلى جوار الكعبة المشرفة أحياناً ، ويطوف بها أحيانا وبيده إناء العطور .

هو رجل كهل ، لعله جاوز الثمانين ، ضئيل القامة ، نحيف الجسم ، يلبس فوق ثوبه معطفاً قديما حال لونه من كرّ الأيام وتعاقب الليالى ، بظهره انحناءة خفيفة ، لا شك أنها طابع تلك السنين الثمانين . . . يضع على رأسه عمامة كبيرة لا نظام فيها ، إلا أن فيها كل الجمال والجلال ، ويضع على عينيه منظاراً سميكا يستعين به على مجاهدة الحياة .

ولقد أسميته بحامل العطور . . لأننى ما رأيته مرّة إلا كان حاملا علبة صغيرة ، علمت — بعد الملاحظة — أنها تحتوى عطراً . ولقد تعوّد الرجل أن يطوف بالكعبة المشرفة بين المغرب والعشاء . وهناك ، لدى أول بيت وضع للناس ، كنت أراه فى تلك الفترة يطوف ، يسرع أحيانا ، ويبطىء أحيانا ، وإنى لأراه الآن بعين الخيال يخُبّ فى سيره مهرولاً ، على قدر ما تسمح به ساقاه ، وأرى عمامته الكبيرة المتهدلة تهتز بانتظام وتوافق مع انتقال خطواته فى المطاف .

ولقد لفت نظرى إلى الرجل ، ما ارتبط برؤيته فى كل مرة ، فقد كان الجو يعبق بشذى عطرى جميل كلما رأيته . . وكانت النسمات الخفيفة الرقيقة التى تمسح رءوس الطائفين بين الغروب والعشاء تحمل ذلك العطر فى طياتها ، وتنشره فى سماء البيت العتيق .

وكنت أطوف ذات يوم ، فرأيته فى المطاف ، إلى جوار الحطيم ، ذلك الجزء المسوّر بجوار الكعبة المشرفة ، ولمحت بعض الطائفين يمدون يدهم إليه . . فيغمس الرجل إصبعه فى الإناء الصغير الذى بيده ، ثم يمرّ به على اليد الممدودة إليه . .

وزاد بى الفضول ، فما إن وازيت الرجل حتى مددت إليه يدى . . .

وغمس الرجل إصبعه فى الإناء . . ثم أمرّه على يدى . فترك على ظهرها آثار ذلك العطر الشذى .

وهنا أدركت السر . . سر ذلك الجو العطرى الذى تعبق به سماء الكعبة المشرفة بين حين وحين . . . وأدركت سرا آخر . . لعل قليلا ممن تناولوا العطر قد أدركوه أيضاً . . .

لقد كانت اللمسة الخفيفة التى مرّت على يدى من إصبع حامل المطور أشد فعلا من الكهرباء ، لقد أثّرت فىّ تأثيراً غريباً . . حتى لا أظن أننى استطعت أن أنحيه عن فكرى باقى أشواط المطاف . . لقد شعرت بأن تلك اللمسة الرفيقة الرقيقة ليست من يد بشرية ، بل خيل إلىّ أنها من يد ملاك ، أو من يدٍ قد تطهرت من كل آثام هذه الدنيا ومن كل أطماعها . . .

وقلت لنفسى . . . ما أجدر هذه الصورة بالتسجيل . . .

هذا الكهل الضئيل ، بزيّه الغريب ومنظاره السميك . . يُرى بين المغرب والعشاء إما طائفا أو واقفاً إلى جوار الحطيم . . يمرّ به الطائفون وهم فى صلاتهم ونسكهم . . فيمد البعض إليه يده . . ويغمس الرجل إصبعه فى الوعاء الصغير . . ثم يمرها على اليد الممدودة إليه . . بكل ما تمثله الرقة من معان . . ولا تتجاوز هذه العملية كلها مدى الخطوة التى يخطوها الطائف فى موازاة الرجل . . وهو لذلك يستطيع — فيما أقدِّر — أن يعطر ألوف الطائفين . .

وجعلت أسائل نفسى . . من الرجل ؟ وما هوايته ؟ وما هى موارده التى تمكنه من ذلك العمل مجانا ؟ . . فالعطر ليس هينا . . وثمنه ليس بالقليل . .

وقلت . . لعله مستجدٍ من نوع جديد . . أستغفر الله . . فقد راقبت الرجل كثيراً لعلى أقف على بعض الطائفين وهم ينفحونه بشىء . . ولم أر من ذلك شيئاً أبدا ، فزادت حيرتى من أمر الرجل . .

وقلت . . لعله تاجر عطور آثر أن يعلن عن بضاعته بهذه الوسيلة . . فجعلت

أطوف فى أسواق مكة وأتجول باحثا عن الرجل بين تجار العطور . . ولم أعثر عليه فيهم . .

وقلت . . إنى لسائل إخوانى عن الرجل ، فلا شك أن منهم من يعرفه ، فيزيل ما بى من فضول . .

ولكنى عدت فأشفقت على نفسى . . وعلى حامل العطور . . وعلى تلك الصورة الحلوة التى طبعها فى ذهنى إلى ما شاء الله ، وآثرت أن تظل صورته على ما هى عليه من غموض . . تاركاً لخيالى أن يفسر تفاصيلها ويلون خطوطها كيف شاء ومتى شاء . .

بل إنى لأرجو ممن يعلم حقيقة الرجل . . أن يشفق بى كذلك . . فلا يبعث إلىّ بما يعرفه عنه . . فلقد قنعت من معرفة الرجل بتلك الصورة الغامضة . . وذلك الأثر الذى تركه فى نفسى ، وتلك اللمسة الرقيقة التى عرفتنى بحامل العطور . . .



## من حكم الهند

اثنان من الناس ينبغى أن يُتباعد منهما : أحدهما الذى يقول : لا ثواب ولا عقاب ولا معاد ولا بر ولا إثم ، والآخر الذى لا يملك شهوته ولا يستطيع أن يصرف قلبه ولا بصره عن شهوة ما ليس له ؛ فيرتكب الإثم ، ويقوده الحرص إلى الخزى والندامة فى الدنيا ، مع المصير إلى الجحيم والعذاب الأليم فى الآخرة .

# جواب الإسلام على المسألة الشيوعية (*)

## لفضيلة الأستاذ مصطفى السباعى

المراقب العام للاخوان المسلمين بسوريا

من الواجب أن نبحث هذا الموضوع بكثير من الصراحة والحكمة والصدق ، فنحن هنا رواد حق فى مؤتمر علمى محصور بين لفيف من أقطاب الفكر فى العالمين الإسلامى والمسيحى ، لا فى اجتماع عام يقصد به الاستيلاء على عاطفة الجماهير بالخطابة المؤثرة والبيان البليغ .

إننا نحن المسلمين ننظر إلى الشيوعية من جهات ثلاثة :

١ — ننظر إليها كعقيدة ذات فلسفة مادية تنكر الروح وما وراء المادة ، وهى فى ذلك تختلف عن الإسلام فى أسسها وجوهرها ، ولا يمكن أن تلتقى معه فى عقيدته وفلسفته . وجواب الإسلام على الشيوعية فى هذه الناحية ، هو جوابه على كل فكرة خاطئة : أن يفندها بالحجة والمنطق ، وأن يبين ما فيها من انحراف عن الحق وخطأ فى الواقع .

٢ — وننظر إلى الشيوعية كنظام اقتصادى اشتراكى ، يسعى إلى تحقيق العدالة بين طبقات الشعب ، ويمنع تحكم المال ووسائل الإنتاج فى العمل والعمال على أسلوب خاص به . وجواب الإسلام على الشيوعية فى هذه الناحية : أنه وضع نظاماً اشتراكيا واضح المعالم مستقلا عن الشيوعية وعن الاشتراكية وعن الرأسمالية ، وهو فى ذلك لا يحارب الشيوعية فى كل اتجاهاتها الاشتراكية ولا يقرها فى كل اتجاهاتها أيضاً ، كما أنه لا يحارب النظم الاقتصادية الأخرى ولا يقرها فى كل تفاصيلها واتجاهاتها .

وأعتقد أن الأديان كلها سبقت الشيوعية إلى الرحمة بالبائسين ، والإنصاف للناس ، والرغبة فى تحقيق العدالة بين الجماهير ، ولكل ديانة وسائلها الخاصة بها

(*) نص الخطاب الذى ألقى فى المؤتمر الإسلامى المسيحى المنعقد فى « بحمدون » بلبنان فى شهر أبريل الماضى . انظر « فى أفق العالم الإسلامى » هذا العدد

فى تحقيق هذه الأهداف ؛ فلا ضير على كل من الإسلام والمسيحية أن تتفق معه الشيوعية فى أهدافه الإنسانية النبيلة ، وإن كانت تسلك لذلك طريقا لا تقرها المسيحية ، أو لا يقرها نظام الإسلام الاشتراكى .

٣ — وننظر إلى الشيوعية كدولة ذات قوة وأهداف سياسية . وجواب الإسلام على الشيوعية من هذه الزاوية ، هو جوابه على كل قوة مسلحة تجاوره ؛ فإن سالمت عقيدة المسلمين وكرامتهم واحترمت إرادتهم وسلطانهم على ديارهم ، سالمها الإسلام ولو كانت مخالفة له فى العقيدة والنظام ؛ لأن الإسلام لا يفرض الحرب على كل من خالفه ، وإنما يضع هذا المبدأ الخالد العادل « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم » وإن حاربت المسلمين فى عقيدتهم وكرامتهم وديارهم أعلن عليها الحرب ، وأمر المسلمين بإعداد كل وسائل القوة لرد العدوان ، وشعاره فى ذلك هو المبدأ الذى لا يزال شرعة الأمم حتى اليوم « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

وإذا كان جواب الإسلام على الشيوعية المعتدية هو الحرب ، كان ذلك جوابه أيضاً على الديمقراطية المعتدية ، وعلى الصهيونية المعتدية ، وعلى كل قوة تعتدى على أرضه وحقه ، بل تعتدى على الأمن والنظام العام ولو كانت من أبنائه « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » .

وقد يقال : إن الشيوعية تتبنى الثورة والحرب كوسيلة من وسائل انتشارها ، وقد يكون هذا صحيحا وواقعا ، ولكنى أتساءل : أليس هنالك بجانب الشيوعية أنظمة ودول تعتمد على القوة وتثير الحروب ؟ ألم تعتمد الديمقراطية فى بلاد الشرق العربى والإسلامى على القوة والبطش لتحقيق حكمها وسيطرتها ؟ ألم تسلك الصهيونية كل وسائل الحرب والتدمير والتقتيل للوصول إلى أهدافها ؟ وإذا كان من حق الديمقراطى الغربى أن يزعم بأنه يسعى للسلم ، وأن ينكر على الشيوعى إعداده للحرب ؛ فإن من حق رجال الدين وقادة الفكر أمثالكم فى هذا المؤتمر أن ينكروا كل وسائل البغى والعدوان ، وأن لا يخصوا بنقمتهم فريقا دون فريق ؛

فذلك شأن السياسين الذين لا يرون أنفسهم ملزمين بالتقيد بمبادئ العدالة والحق والأخلاق دائما وأبدا .

وقد يقال : إن الشيوعية بفلسفتها المادية تحمل مبادئ التدمير لكل القوى الروحية والأخلاقية فى العالم ، وقد يكون هذا صحيحا أيضاً وواقعا ، ولكن من حقنا أن نتساءل هنا ألم تنحرف الديمقراطية فى عصرنا الحاضر عن القيم الروحية والأخلاقية للشرائع والديانات ؟ ألم تسع الديمقراطية السياسية لتحقيق مطامعها وأهدافها بشره مادى يجانب روح الأنبياء ومبادئ الكتب المقدسة وشرائع الله ؟

أليست الصهيونية فى مطامعها السياسية حركة مادية تجانب كل القيم الروحية والأخلاقية حتى فى الشريعة اليهودية ذاتها ؟ فلماذا يقتصر مؤتمركم على بحث الشيوعية المادية ولا يتناول الديمقراطية المادية والصهيونية المادية ؟ . . . ولماذا يُطلب منا نحن سكان هذا الشرق الأوسط من عرب ومسلمين وشرقيين أن نحارب الشيوعية وحدها ، بحجة أنها مادية تحارب القيم الدينية والأخلاقية ، بينما نجد العالم الغربى المسيحى تسيطر على سياسته روح مادية لا تأبه إلا بمصالحها وسيادتها حتى أنها تبنت الصهيونية المادية وخلقتها وزرعتها فى بلادنا زرعا بقوة الحديد والنار ، وبإغراء الذهب والدولار ؟ . . .

أمن الممكن أن نطلب من جماهيرنا التى تكتوى بنار الصهيونية ، وتعانى فظائع الظلم والإرهاب الاستعمارى فى بلادها ، أن تصدق بأن الغرب المسيحى مخلص فى محاربته الشيوعية لماديتها وخطرها على الأديان والأخلاق ، بينما هى تشاهد كيف تزدرى الدول الغربية بكل مبادئ الحق والعدالة فى علاقاتها معها ، وتحتضن الحركة الصهيونية الباغية المادية كوليد مدلل ينزل أبواه عند كل رغباته ومطالبه ؟ . . .

أيها السادة :

لست أبعد عن الحديث حين انتقل من الكلام عن الشيوعية إلى الصهيونية ؛

ذلك لأن الصهيونية تعتمد على الشيوعية وتنشرها ، كما تعتمد على الديمقراطية وتدافع عنها لأن الصهيونية لا دين لها إلا تحقيق مطامعها ، وإنكم لتعلمون أن الصهيونية كانت دعامة الحركات الشيوعية في أوروبا وأمريكا ، وأن الجاسوسية التي أقضت مضاجع أمريكا وانكلترا وغيرهما من دول الغرب ؛ إنما يديرها ويسهر عليها صهيونيون كبار، استطاع التحقيق أن يكشف القناع عن وجوه كثيرين منهم فأسلمهم إلى يد العدالة ، ولا يزال القناع قائما على وجوه كثير من كبار الصهيونيين المواطنين فى أمريكا وأوروبا ، وسيعلم الشعب الأمريكي والشعوب الأوروبية ولو بعد حين ، أن هؤلاء الصهيونيين الكبار لم يكونوا إلا خونة ومجرمين كباراً فى حق أمريكا وأوروبا على السواء . وهذه العناصر الصهيونية القوية هى التى توجه سياسة الدول الغربية وتبسط سلطانها ونفوذها على كثير من الرؤساء والزعماء والنواب ودور الصحافة وبيوت التجارة فى بلاد أوروبا وأمريكا . . . وهى هى التى تتصل بأمثالها فى الشرق العربى والإسلامى عندنا وتتبنى الشيوعية لا إيماناً منها بالشيوعية ، ولكن استدراراً لعطف الشيوعية الدولية وتأييدها كما فعلت فى إقامة دولة إسرائيل . . . .

من أجل ذلك ، كان الحديث عندنا نحن فى الشرق العربى والإسلامى عن الخطر الشيوعى مقترناً بالحديث عن الخطر الصهيونى .

إنكم أيها الأمريكيون والإنجليز والفرنسيون والكنديون والإيطاليون وغيرهم من زملائنا أعضاء هذا المؤتمر ، قد لا تشعرون بخطر الصهيونية ومحاربتها للأديان والشرائع ، وخاصة رجال الدين وأساتذة الجامعات منكم ، ممن لا يمارس السياسة ولا يعانى مشاكلها ، فاسمحوا لنا إذاً نحن أبناء هذه البلاد ، أن نكاشفكم بحقيقة هذا الخطر ، وعليكم أنتم يا رجال الدين وأساتذة الجامعات وأصدقاء الشرق الأوسط أن تفسحوا صدوركم لآلامنا ما دمتم تريدون منا أن نتعاون معاً على الخير ، وأن نسير فى طريق واحدة تؤدى بالإنسانية إلى السعادة والسلام .

إن الصهيونية حركة مادية لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا بالقيم الروحية والأخلاقية ، وهى حركة سياسية تستغل كل الشرائع والقوانين والمثل العليا لتحقيق مطامعها فى السيادة والملك .

وهى سياسة ميكافيلية تستبيح كل الجرائم الخلقية والاجتماعية من قتل وتخريب وتشريد للوصول إلى غاياتها .

وهى حركة عدوان تدبّر الحروب ، وتثير العداوة والبغضاء بين الشعوب .

هذه هى الصهيونية فى فكرتها وفى واقعها ، فإذا شككتم فى ذلك فتعالوا لتروا الصهيونية بأعينكم خراباً ويتما وتشريداً وإجلاء وإفناء ، تعالوا بنا نزر معكم أماكن اللاجئين لتروا آثار الصهيونية فى جولتها الأولى ، وهى الآن تستعد للجولة الثانية والثالثة وغيرها حتى تصل إلى ما تريد من إفنائنا كشعب ، والقضاء علينا كأمة ذات دين وحضارة روحية ومثل عليا .

ومن أجل ذلك نعتبر الصهيونية خطراً قائماً فى قلب وطننا العربى والإسلامى ، ونعتبر كل من يساندها عدوًّا للحق وللأخلاق وللأديان ، ونحن حين نخوض ضدها معركة الدفاع ، إنما نخوضها لا من أجل أنفسنا وتراثنا وقيمنا الأخلاقية فحسب ، بل نخوضها من أجل الإنسانية كلها ، من أجل القيم الروحية والخلقية التى جاءت بها شرائع الله . ولئن كان الغرب المسيحى وقف حتى الآن موقف المؤيد المد لهذه الحركة بكل ما يستطيع من نفوذ ومال ، فإن العالم الإسلامى ليطلب منكم يا قادة الروح فى الغرب أن تحيوا شعور أممكم وشعوبكم ، وتوقظوا الضمير العالمى لإيقاف هذه الكارثة التى نشأت عن أكبر غزو إفنائى لنا فى تاريخنا القديم والحديث .

أيها السادة :

لقد كان من الحق حين وضع فى برنامج أبحاث المؤتمر موقف الإسلام والمسيحية من الشيوعية ، أن يذكر بجانب ذلك أسباب انتشار الشيوعية ووسائل مكافحتها ، وهو أمر لا بد منه ليكون لبحث هذا الموضوع نتائج عملية مثمرة . إن المريض لا يكتفى من طبيبه أن يقول له بعد معاينته « إنك مريض » ولكن يطلب منه أن يكشف له عن أسباب مرضه وأن يصف له علاجه الناجع ، وإذا كانت فلسفة الإسلام والمسيحية تجانبان الفلسفة الشيوعية المادية ، كان لا بد لانتشار الشيوعية فى بلاد المسيحية والإسلام من أسباب أدّت إلى هذه النتائج ...

١ — وأول هذه الأسباب — فى رأيى — فساد الأنظمة الاجتماعية وخاصة فى الشرق الإسلامى ؛ فإن انحطاط مستوى المعيشة والعلم والصحة، والتفاوت الفاحش بين الطبقات،وفساد أنظمة الحكم وانحراف الحكام عن سنن العدالة ، وطغيان روح التحكم والاستبداد فى نفوسهم . ذلك كله من أكبر أسباب التذمر الذى يؤدى بالجماهير إلى اعتناق أية فكرة تظن فيها الخلاص من حالتها السيئة . إن الجماهير إنما تعنى بمصالحها المادية قبل كل شىء ، وهى تفتش عن تحقيق هذه المصالح فى دائرة أديانها ، فإذا رأت فيها العجز والإعراض عن تحقيق ذلك تولت عنها وهى تفتش عن مذهب يعدها بالإنقاذ ، وهى ستتبعه حتما ولوكان آتيًا عن طريق الشيطان .

٢ — وثانى هذه الأسباب محاربة الديمقراطية الغربية لشعوب الشرق فى أمانيها التحررية والاستقلالية ، ومحاولة ابقائها تحت نير الجهل والظلام والعبودية ، وإشاعة حكم الارهاب والبطش فى كثير من الأقطار المتحفزة للتحرر ، والقضاء على الحركات الشعبية النظيفة، وتشويه سمعتها بالاتهام بالشيوعية والانصياع لتحريض أجنبى.. كل ذلك كان له أثره فى اتجاه الجماهير إلى نظام يعدها بالتحرر من سلطان الديمقراطيات وبطشها وإرهابها .

٣ — وثالث هذه الأسباب — وهو سبب خاص ببلادنا — ذلك التأييد الذى لقيته الصهيونية من الديمقراطيات الغربية ؛ حتى أصبح لها كيان مفروض فى قلب الوطن العربى رغم إرادة سكانه وشعوبه ، مما شرد مليونا من سكان فلسطين ، وأشاع المرارة والخيبة فى نفوس العرب والمسلمين ، وجعل أوساط اللاجئين أمكنة صالحة للشيوعية تزداد يوما بعد يوم ، واغذروا هؤلاء اللاجئين أيها السادة : اعذروهم إذا تلفت أحدهم إلى زوجته فرآها أسيرة أو مفقودة ، وتلفت إلى أولاده فرأى البرد والمرض والسل يفترس واحداً منهم بعد آخر ، وتلفت إلى نفسه فرأى خيمته تقتلعها الرياح وتغطيها الثلوج ، ورأى جسمه تهدده الأمراض ، ورأى نفسه عاجزا عن توفير الكرامة لنفسه وأطفاله .. إنه ليعانى هذا كله وهو يرى بعينه أرضه تُزرع ، وداره تُسكن ، وأثاثه يُنهب ، ويرى أن ذلك كله نتيجة سياسة الديمقراطيات الغربية وحكمها وتأييدها للصهيونية المحتلة لأرضه وداره ، فكيف تستطيعون أن تقنعوه مع ذلك بأن

يؤمن بأن هذه الديمقراطيات تحمل لواء الحق، وتمثل المعسكر الذى يعتقد بالله وبالروح والقيم الأخلاقية والدينية ؟

إن اضطراب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى أوروبا جعل نصفها يميل إلى الشيوعية أو يقع تحت قبضتها ، فكيف لا تؤدى سوء أوضاع اللاجئين ، وهى أسوأ بآلاف المرات من تلك ، إلى اعتناق الشيوعية أو غيرها وهم فى تلك الحالة من البؤس والشقاء ؟

هذه هى الأسباب الرئيسية لانتشار الشيوعية ، وبذلك يعرف الطريق الواضح لمكافحتها .

إنه لا سبيل لكم ـ لتكونوا عمليين مخلصين فى نصرة القيم الروحية والأخلاقية ـ من أن تعلنوا إنكاركم لاستمرار الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة فى أوساط الشعوب والجماهير ، ومن أن تعلنوا إنكاركم لسياسة الديمقراطيات الغربية فى موقفها من أمانى الشعوب العربية والإسلامية ، ومن أن تعلنوا استنكاركم للصهيونية كحركة مادية فيها كل الخطر على السلم وعلى الأمن وعلى الأخلاق والدين فى هذه المنطقة الحساسة من الشرق الأوسط . كونوا جريئين مخلصين أيها السادة فى إعلانكم هذه الحقائق ، وسنكون نحن جريئين مخلصين حين نعلن لكم أنه من العبث أن تفكروا بحمل شعوبنا على محاربة الشيوعية والوقوف ضدها ، وهى ترى الدبلوماسية الشيوعية تنتصر لقضايانا فى المحافل الدولية من حيث تخذلها الدول الديمقراطية الغربية .

لقد قال المستر « تشرشل » كلمة ذهبت مثلا فى التاريخ يوم اعترض عليه بعض الناس حين مدّ يده إلى روسيا فى الحرب ليتعاون معها على حرب ألمانيا ، قال : « إننى مستعد لأن أتحالف مع الشيطان فى سبيل الوصول إلى النصر » وتعاون الحلفاء يومئذ مع الشيوعية خلال مدة الحرب العالمية الثانية ، وما كان تحالفهم مع الشيوعية الفكرية ولا مع الشيوعية الاقتصادية ، وإنما كان مع الشيوعية القوية المسلحة لأن مصلحتهم التقت مع مصلحتها فى هذا التعاون ، ونحن اليوم لا نريد أن نفرض سيطرتنا ولا انتصاراتنا على الشعوب ، وإنما نريد أن نصل إلى حقنا . . نريد أن نطمئن على

حرياتنا وكراماتنا . . إن من حقنا أن نعيش أحرارا فى فلسطين وسوريا ولبنان والأردن وفى العراق وفى مصر وفى ليبيا ومراكش وتونس والجزائر وفى كشمير وفى أندونيسيا وفى كل بلادنا العربية والإسلامية . نريد أن نصل إلى هذا الحق الذى تحاربه الديمقراطيات الغربية المسيحية حرباً تنكرها مبادئ الديانات وشرائع الله ، فهل نلام إذا نظرنا إلى مصلحتنا المشروعة فى مهادنة كل من يعترف لنا بهذا الحق ؟ . . .

سيذهب كل جهد لكم عبثا مالم تعلنوا قراراً فى هذا المؤتمر جريئاً واضحا فى هذه القضايا كلها ، وعندئذ تنالون احترام العالم وثقته ، وتسيرون فى طريق التعاون المثمر المفيد بين الإسلام والمسيحية ، لرد الانسانية الجامحة إلى الله ، ولتدعيم القيم الروحية التى لايقوم بناء العالم الحر الكريم إلا على أساسها .

وإذا لم تفعلوا ذلك فثقوا — وهذه كلمة لا أقولها كسياسى فحسب — بل كرجل مسلم يشترك فى أكبر حركة إسلامية فى العصر الحديث ، ينضوى إليها ملايين الشباب الأقوياء المؤمنين فى دنيا العرب والإسلام — أقول لكم ثقوا أننا لن نسير مع الغرب خطوة واحدة فى مكافحة أية حركة مادية كقوة سياسية ، مالم يثبت لنا الغرب عمليا حسن نيته وصدق إخلاصه فى التخلى عن مناصرة الصهيونية حتى ندرأ أخطارها عن بلادنا وعن العالم كله ، وفى الاعتراف بحقوقنا كاملة فى السيادة والاستقلال ، حتى نتعاون معه تعاون الحر مع الحر ، والكريم مع الكريم ، لا تعاون العبد مع السيد ، والذليل مع العزيز ، والمظلوم مع الظالم .

هذه كلمة نقولها اليوم رجاء أن تحتل من قلوبكم مكان الاقتناع والتأييد، فتكونوا أنصاراً للحق فى أوساط شعوبكم ، تجهرون بكلمته القوية على مسمع من حكوماتكم ورؤسائكم ، وإلا فإننا نقولها اليوم للتاريخ .. وسيقول فيها التاريخ كلمته فيما بعد ..

اللهم وفقنا جميعا للخير والحق ، وألهمنا رشدنا ، وهيئنا لإنقاذ الانسانية من طغيان السياسة على شرائع الله وآدابه . . .

---

# مع العارفين

## عطاء بن ميسرة

هذه النفس ... نفسي ونفسك أيها القارئ ، فلا أظنك لو كنت معي إلا شاعراً بما أشعر ، ما حقيقتها ؟ ما هو هذا السر الذي يجعلها حين تصفو رحبة تسع الأرض والسماء ... ويطويها حين تظلم في بئر آسن لا ينفذ إليه نور ولا هواء ... فكأنك بها حين تصفو نسمة طائرة تتجاوز السدود والحجب ، وكأنك بها حين تظلم شيء تافه يضيق بكل شيء حوله ، ولا يرى حوله إلا السدود والحجب ...! ثم ما أتعس الإنسان إذا زُيِّن له بعد ذلك سجنه فلم ير جدرانه ! إن عالمه حينئذ هو هذه المنطقة الآسنه بين جنبيه ، تحد أمام عينيه كل ما يرى ، وتحكم في نفسه كل ما يدلف إليها من خارج !

لا يعلم سر هذه النفس إلا الله : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

* * *

كان ذلك حديث نفسي وأنا جالس في شرفة « بحمدون[1] » ... وتحتها الوادي الأخضر الفسيح ... وإلى جانبي كتاب « الحلية » مفتوحا على حديث « عطاء بن ميسرة » رضي الله عنه ، وبين أخباره القليلة عاشت نفسي لحظات في أفق مشرق ، وفي جمال رقيق ندي ، ثم خلوت إلى القلم أستودعه شيئا مما كنت أجده ، ولا أظنه يبلغ أن ينقله كما هو . . . إلا أن يغمره السر العزيز الذي جمل في النفس عواطفها ، وفي الوادي الأخضر جماله ، وفي عطاء بن ميسرة ما فيه مما سوف تعلم !

* * *

أجل يا أخي ... ليس كحديث « الرجال » حديث يحمل إليك المعاني الطائرة لتراها بعينيك ، لتراها ماثلة في لحم ودم : في إنسان مثلك عاش كما تعيش ، وما أقرب حينئذ أن تتحرك نفسك لتعيش كما عاش ، وهي ترى في حاله حجة على حالك ، ومثلا حاضرا

---

(١) إحدى مدن لبنان .

دبَّ على الأرض أياماً ثم مات ... مات ... هذه الكلمة الصغيرة الكبيرة ... والنهاية الحاسمة لعمر الإنسان مهما امتد، ولزخرف الحياة مهما خدع، وهي عنوان الحقيقة التي يغفل عنها أكثر الأحياء، وتشغلهم عنها الأيام والليالي والسنون، وهذه لو علموا هي المدة التافهة في عمر الكون، والقنطرة الصغيرة إلى الشاطىء الممدود «وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» !!

ولعل من خير ما يعين على إزالة هذه الغشاوة عن النفس ... أن تقرأ أخبار شخص «مات»، وأن تقرأ من خلال ذلك ما صار إليه، فإن من طبيعة هذه النفس ألا تنقطع صلتها بنفس مثلها وإن غاب شخصها ... ولا أزال أذكر كلمات سمعتها من الأستاذ الإمام الشهيد رضوان الله عليه في ليلة ندّيه بدار المركز العام، وكان يتحدث عن الآخرة فقال : «ليذكر كل منكم ميّتا عزيزا عليه، وليسأل نفسه : ترى ألن نلتقي مرة أخرى ؟! وسيجد الجواب في أعماقها ... بلى سوف نلتقي ؛ وذلك هو برهان الآخرة !!» وأجمل ما تكون الذكرى في النفس حين يكون صاحبها صالحا رضيّا، وحين تكون أخباره من أخبار القيم الرفيعة التي لا تموت، لا من توافه «دنياه» التي ماتت بموته !!

***

يقول عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : «كنا نغزو مع عطاء، فكان يُحيي الليل من أوله إلى آخره إلا نومة السحر، وكان إذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو في فسطاطه يسمعنا، يا عبد الرحمن بن يزيد، ويا يزيد بن يزيد، ويا هشام بن الغاز، ويا فلان ويا فلان، قوموا وتوضئوا وصلّوا، فإن قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شراب الصديد، ومقطعات الحديد! النجاة النجاة! ثم يقبل على صلاته».

ويروي ابن يزيد أنه سمعه يقول : «إنّ داود النبي عليه السلام قال يا رب : مالبني اسرائيل إذا نزل بهم كرب أو شدة قالوا يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ؟ فأوحى الله تعالى إلى داود أن إبراهيم لم يخيَّر بيني وبين شيء قط إلا اختارني عليه، وأن إسحاق جاد لي بمهجته، وأن يعقوب ابتليته ببلاء فما أساء بي ظنا في ذلك البلاء حتى فرجته عنه وكشفته» !

ويقول عطاء : «ذكر عيسى بن مريم هذه الأمة وخفة أحلامها وما لها عند الله من

الثواب ، فعجب أصحابه من ذلك وسألوه مم ذاك ؟ قال : جرت على ألسنتهم كلمة استصعبت على الأمم قبلهم : قول « لا إله إلا الله ».

ويقول : « ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة ، وبكت عليه يوم يموت » .

ويقول فى تفسير قوله تعالى « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتَّبعك من المؤمنين » : أى حسبك ومن اتبعك من المؤمنين الله ! وفى تفسير « وجوه يومئذ مسفره » : من طول ما اغبرّت فى سبيل الله ! !

ويعظ الناس يوما فيقول : « إنى لا أوصيكم بدنيا كم فأنتم بها مستوصون ، وأنتم عليها حِراص ، وإنما أوصيكم بآخرتكم . تعلمنّ أنه لن يعتق عبد وإن كان فى الشرف والمال ، وإن قال أنا فلان بن فلان ، حتى يعتقه الله تعالى من النار ، فمن أعتقه الله من النار عتق ، ومن لم يعتقه الله من النار كان فى أشد هلكة هلكها أحد قط ؛ فجدوا فى دار المعتمل لدار الثواب ، وجدوا فى دار الفناء لدار البقاء ؛ فإنما سميت الدنيا لأنها أدنى فيها المعتمل ، وإنما سميت الآخرة لأن كل شىء فيها مستأخر ، ولأنها دار ثواب ليس فيها عمل ! . . . واجعلوا الدنيا كشىء فارقتموه فوالله لتفارقنها ، واجعلوا الموت كشىء ذقتموه فوالله لتذوقنه ، واجعلوا الآخرة كشىء نزلتموه فوالله لتنزلنها ، وهى دار الناس كلهم ، ليس من الناس أحد يخرج لسفر إلا أخذ له أهبته ، وتجهز له بجهازه ، وأخذ للحر ظلالة ، وللعطش مزادا ، وللبرد لحافا ، فمن أخذ لسفره الذى يصلح له اغتبط ، ومن خرج إلى سفر لم يتجهز له بجهازه ، ولم يأخذ له أهبته ندم ؛ فإذا أضحى لم يجد ظلاً ، وإذا ظمىء لم يجد ماء يتروى به ، وإذا وجد البرد لم يجد لذلك لحافا ، فلا أرى رجلا أندم منّه ، وإنما هذا سفر الدنيا ينقطع عنه ولا يقيم فيه ، فأكيس الناس من قام يتجهز لسفر لا ينقطع ، فأخذ فى الدنيا لظمأ لا يروى ؛ فمن آواه الله فى ظل عرشه لم يضح أبدا ، ومن أضحى يومئذ لم يستظلّ أبداً ، ومن قام فأخذ لرىّ لم يعطش أبداً ، فإن من عطش يومئذ لم يرو أبدا ، ومن قام فأخذ لكسوته لم يعر أبدا ، فإنه من عرى يومئذ لم يكس أبداً ! ! »

* * *

وإنك لتجد روحه الاجتماعية فيما يقول ويروى ، فهو يرى من خير الذكر مايعرف به الحلال من الحرام ، كى يستقيم الناس فى حياتهم على ما أراده الله ، وأثر عنه فى ذلك قوله « مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام » ؛ وهو يعرف كيف ينشد حاجته فيمن يقبلون على وعظه ، ويوجه إلى ذلك تلامذته ، فيقول : « طلب الحوائج من الشباب أسهل منه من الشيوخ ، ألم تر إلى قول يوسف « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » وقال يعقوب « سوف أستغفر لكم ربى » !

وتراه فى الحديث عن الزواج وأصوله التى لا يقوم إلا بها يوجز فيقول : « كل تزويج على غير هدىً حسرة وندامة إلى يوم القيامة » .

وفى سنة الشر مع المكافحين له يقول : « لَلْعيب أسرع إلى من يتحرى الخير من الدسم فى الثوب الجديد » وهى صورة حية سواء عنى بها عيبا يُتهم به المتمسك بالخير ، أو عيبا يتكشف له حين يتحرى !

وتبدو هذه الروح الاجتماعية فيما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرد برواية بعضه ... روى عن الحسن عن جابر أن الرسول قال : « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقا : فأما الجار الذى له حق واحد فالجار المشرك لا رحم له وله حق الجوار ، وأما الذى له حقان فالجار المسلم لا رحم له وله حق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم ، وأدنى حق الجوار ألا تؤذى جارك بقتار[1] قدرك إلا أن تقدح[2] له منها » .

وروى عن ابن عباس « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حرمت النار على ثلاثة أعين : عين بكت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين سهرت فى سبيل الله » .

وعن أبى عمران عن عائشة قالت : « كان أحب الأعمال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : عملان يجهدان نفسه ، وعملان يجهدان ماله ؛ فاللذان يجهدان

(١) القتار : ريح الشواء .
(٢) القدح من القدر : الغرف منها .

نفسه الصوم والصلاة ، واللذان يجهدان ماله الجهاد والصدقة » . وعن نافع عن ابن عمر « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » !

* * *

ولفت نفسي في أخبار عطاء عاطفة الأخوة فى الله عنده ، فهو مرة يقول لمريديه : « تعاهدوا إخوانكم بعد ثلاث ، فإن كانوا مرضى فعودوهم ، وإن كانوا مشاغيل فأعينوهم وإن كانوا نسوا فذكروهم ، وكان يقال : امش ميلا وعد مريضا ، وامش ميلين وأصلح بين اثنين ، وامش ثلاثة وزر أخا فى الله » ومرة أخرى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما تواد اثنان فى الله فى الإسلام فيفسد ذلك بينهما إلا من حديث يحدثه أحدهما » وهو مرة ثالثة يروى عن أبى إدريس الخولانى أنه سمعه يقول : « دخلت مسجد حمص فجلست فى حلقة كلهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم شاب إذا تكلم أنصت القوم له ، فقلت له حدثنى رحمك الله ، فوالله إنى لأحبك ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المتحابون فى جلال الله فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله » قلت من أنت رحمك الله ؟ قال أنا معاذ بن جبل » ! . . . وتجده مرة رابعة يروى عن أبى رزين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا أبا رزين زر فى الله ، فإن العبد إذا زار أخاه فى الله وكل الله به سبعين ألف ملك ؛ فإن كان صباحا صلوا عليه حتى يمسى ، وإن كان مساء صلوا عليه حتى يصبح . فإن قدرت أن تُعمل جسدك فى ذلك فافعل » .

* * *

وإنك لتراه إلى كل ذلك عزيزا لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وفى ذلك يروى عن موسى عليه السلام « يارب مائة موتة أموتها أهون على من ذلّ ساعة » !!

* * *

رضى الله عن عطاء ، وألحقنا به فى الصالحين .

( ٧ )

# شئ عن ألبانيا المسلمة المنكوبة

[ ننشر هذه الكلمة التي جاءتنا من الأستاذ شوكت وهبي الألباني بمناسبة الذكرى الخامسة لاحتلال ألبانيا وقد نشرت كلمة عنها بالعدد الثاني من السنة الثانية ] .

تقع ألبانيا على بحر الإدرياتيك فهي تمتاز بمركز استراتيجي هام إذ تعتبر المفتاح إلى البحر الأبيض المتوسط ودوله ، وقد كان من نتيجة هذه الميزة أن كانت معرضة للخطر والغزو والاحتلال من قرون كثيرة .

حين عاد أحمد زوغو إلى الحكم في ألبانيا وأصبح ملكها الشرعي عقد في سنة ١٩٢٨ معاهدة عسكرية مع إيطاليا الفشستية لمدة ثلاثين سنة أصبحت ألبانيا بعدها شبه محصورة في المجال التجاري والحيوي عن بقية أنحاء العالم ، وقد استفادت إيطاليا كثيراً جداً من تلك المعاهدة فقد كانت تأخذ خيرات البلاد من بترول وذهب ومعادن مختلفة وغيرها بثمن بخس ، بينما كانت ألبانيا تحس بخناق من جراء تلك المعاهدة في أكثر الأحيان .

وبعد سنة ٩٣٦ — وقد خيم على العالم ظل الحرب الثانية — أخذت إيطاليا الفشستية تحاول الاستيلاء على ألبانيا لتجعل منها منطقة أمامية وجبهة قوية في الحرب التي ستنشب بين الحلفاء والمحور وحلفائها ، على أن تعمل في نفس الوقت على تحويلها إلى منطقة إيطالية بمرور الزمن . وفعلا فقد أخذت ترسل إلى الملك زوغو الكتاب تلو الكتاب والرسول بعد الرسول تعرض عليه في هذه الكتب وبأولئك الرسل أنها حقا تطلب إنزال جنودها إلى البر الألباني لكن لا للاستعمار وامتصاص الدماء بل لحماية ألبانيا لأنها في خطر ، أما الملك زوغو فكان يجيب على ذلك كله : إن بلادنا ليست في خطر ولسنا نخشى عدوا !

وحتى إذا فشلت الدبلوماسية الفاشستية في مطالبها بسلام أخذت القوة الغاشمة تدبر الأمر بالطريقة التي تعرفها ؛ ففي صباح يوم الجمعة ٧ نيسان ١٩٣٩ أصبح الناس في ألبانيا عامة وفي مينائي دورس وفالونا خاصة أصبحوا على أزيز خمسمائة طائرة تشق جو الفضاء مرسلة القنابل على الآمنين ، ومائة وخمسين بارجة حربية قد فتحت أبواب

النار على الناس المدهوشين المذعورين، فما كان يخطر ببال أحد أن إيطاليا الحليفة الكبرى تهجم دون إنذار أو إعلان قتال على دولة بسيطة تصغرها أربعين مرة.

ورغم ذلك كله فقد ثبت الأحرار العزل إلا من سلاح قليل ضعيف خاصة في دورس وبستروا ثباتا يصفه باختصار (فلادمير ديدير) Fladimir Dedier في كتاب العلاقات الألبانية اليوغسلافية من ١٩٣٩ — إلى ١٩٤٨ — فيقول «وفي دورس حين حاول الفاشيون أن ينزلوا أرضنا من البوارج اضطروا إلى أن يغسلوها بدمائهم. إن ثبات الشعب وخاصة عمال معمل ستاملس (Stamles) في صفوف الجنود المحاربين قد طال كذلك أكثر من أربع ساعات، لقد هجمت القوة الفاشية أربع مرات متتالية تزيد في كل مرة قوة ومددا. وفي المرات الأربعة ردت إلى بوارجها التي بدأت منها الزحف وقد تركت عشرات القتلى برصاص الجنود والعمال، كما سقط بيننا خمسة عشر رجلا. عمر فورجيا من العمال وموبا الكناقو الرقيب من الجنود الذي ظل يحارب ويقاتل إلى أن سقطت أمعاؤه على الأرض وما أمسكت بها يداه. وحتى يخفي الفاشست هزيمتهم بين جنودهم فقد خلعوا ملابس قتلاهم وشاراتهم وغسلوا بالمضخات أرض الميناء ومدخل المدينة.

وفي بستروا ثبت الجنود والعمال والفلاحون ما يزيد على عشر ساعات في قتال قوة إيطالية، فقتل منها أكثر من مائة جندي، وفي (ساراندا) وشنين وغيرها لم يستقبل الفاشست إلا بالرصاص.

رأى الملك زوغو (وحكومته) أن إيطاليا قد نقضت المعاهدة وغصبت أرضا حرة وهدرت كرامة شعب فأرسل بواسطة رئيس مجلس الوزراء مهدي فراشوي — أرسل النداءات العامة إلى الشعوب الحرة لينجدوا ألبانيا ضد إيطاليا المعتدية، ولما لم يستمع أحد إلى النداء ولم يبال بما حصل لم يجد هو وحكومته إلا أن يغادر بلاده ثاني يوم دخول الإيطاليين إلى بلاد العالم الحر ... فيقيم اليوم في الإسكندرية مع مفتي أشقودرة فضيلة الشيخ الكبير صالح مفتيا حفظه الله ورعاه.

ومنذ دخلت إيطاليا البانيا في ذلك اليوم الحزين (١٩٣٩/٤/٧) لم تلق إلا شعبا يكرهها أشد الكره، لم تلق إلا شعبا يريد القتال، يريد الموت في سبيل الحرية فلم يصف لها يوم من مشاكل وقلاقل، من اعتداءات متقطعة ومهاجمات فدائية أضرتها في الكثير.

وكمثال على كره الشعب للفساشيين الغاصبين أذكر نموذجا واحدا :

حين زار الملك عمانويل تيرانا ( العاصمة ) فى عام ١٩٤٢ ثار الطلاب والشعب فى وجهه حتى ترصد له بعضهم ورماه بالنار ولكن لم يصبه ، حينذاك بدأت معركة الموت بين فرسان مسلحين يمزقون علم ألبانيا وبين شعب يرى قلبه يتمزق فيريد تمزيق العدو ولو بيديه . فكنت ترى الفرد شبه الأعزل يجذب الفارس من قدمه حتى يوقعه أرضا ، ثم يغمد فى صدره السكين فيقتله قبل أن يملك هو أية حركة . حدّث أحدهم فقال ما أن رأيت فارسا يمزق بخنجره علم البلاد حتى فقدت شعورى وما رأيت إلا أنى قد جذبته عن فرسه فوقع على الأرض وأعملت فيه السكين جهدى وكأنى ما فعلت شيئاً .

إن حزب الجبهة الوطنية والشعب الألبانى هما اللذان بدءا القتال مع الطليان الفاشست من أول يوم حلت فى أرضنا أقدامهم إلى أن كانت الثورة العلنية ١٩٤٣ فطردوا من البلاد .

أولئك الذين طردوا الطلاينة الفاشست من ألبانيا هم هؤلاء الوطنيون الأحرار ( فى ألبانيا وفى المهجر ) الذين يعملون حقا لحرية الشعب الألبانى فى حفاظه على الأديان والعادات ومواريث السلف من حب الوطن والموت فى سبيل عزته .

هؤلاء الوطنيون الأحرار هم أمل الغد القريب أيضا ، هم الأمل فى إنقاذ ألبانيا من حكامها الشيوعيين الظلمة الذين يخونون الوطن ويهدمون الدين ويهدرون التقاليد .

هؤلاء الوطنيون الأحرار هم عدتنا بعد الله تعالى فى إنقاذ البلاد قريبا بإذن الله من أولئك الذين يحكمون الشعب ضد إرادة الشعب .

والله معنا فلا يخيب لنا رجاء .

---

## استدراك

ورد فى مستهل مقال « الأمة الواحدة » ص ٤٤ من هذا العدد هذا الخطأ المطبعى : « وأن هذه أمتكم أمةٌ واحدةٌ » وتصحيحه « وأن هذه أمتكم أمةً واحدةً » فاقتضى التنويه .

# في أفق العالم الإسلامي

* المؤتمر الإسلامي المسيحي
* تحرير الهند الصينية ... وحلف جنوب آسيا
* وصاية أمريكا

## المؤتمر المسيحي الإسلامي :

غادر القدس الى بيروت الأستاذ سعيد رمضان رئيس تحرير «المسلمون» والأمين العام للمؤتمر الإسلامي تلبية لدعوة المؤتمر الإسلامي المسيحي فى بحمدون ، وقد عقد اجتماعاً صحفياً فى فندق برستول بعد انتهاء المؤتمر أدلى فيه بالتصريح التالى :

« إن واجب الأمانة يقتضينى أن أكون صريحاً فى إعلان الخطر الشديد الذى يهدد قضية فلسطين وفى إنذار الشعوب العربية والإسلامية بأنه لم يعد يجدى فى علاج هذه القضية الميوعة التى نراها ووسائل السياسات الرسمية التى جربناها ، فنحن فى هذه القضية إزاء عدوان مسلح والسلاح لا يرد بالكلام، وإزاء عصابة أقامت دولة طبيعتها العدوان فلا يجوز أن ننتظر منها غير هذا وهى ماضية فى عدوانها كل يوم تظاهرها السياسة الإنكلو - أمريكية الظالمة . والجولة الثانية من معركة فلسطين التى سندخلها رضينا أو كرهنا - وهى بالنسبة لنا معركة حياة أو موت - يجب ألا نعتمد فيها بعد الله إلا على أنفسنا . نحن أكثر عدداً والمعركة فى أرضنا والوسائل المادية التى تستلزمها المعركة يجب أن تعد ، العرب والمسلمون مسؤولون أن يفكروا فى هذه الوسائل أشد مما يفكرون فى طعامهم وشرابهم . وإذا كان اليهود يقولون ادفع دولارا تقتل عربياً فيجب أن يعد المسلمون والعرب جوابهم العملى على ذلك .

وإن واجب الأمانة كذلك يقتضينى هنا أن أكون صريحاً فأعلن أن طريق أعمال المؤتمر طريق شائك وأن العقبات أمامنا كثيرة ولا يجوز أن نواجه مشا كلنا بأمل كاذب ، بل يجب أن يعلم العرب والمسلمون أنهم بمقدار ما يبذلون ويضحون ستكون مقدرتنا على تحقيق أهداف هذا المؤتمر وإن أتردد فى إعلان كل عقبة تعترض المؤتمر ولو أدى ذلك بنا الى غياهب السجون ؛ فإننا كفار « بأنصاف الحلول » لقد بقيت أربعة أشهر بعد انتخابى أميناً للمؤتمر غير قادر على العمل - شهر منها لم أستطع أن أحصل خلاله على تأشيرة الاردن والثلاثة الأخرى بالسجن الحربى بالقاهرة وقد أذنت لى الحكومة الأردنية مشكورة بدخول الأردن وسمحت لى الحكومة المصرية بالخروج من مصر .

وقد أصبح للمؤتمر نواة طيبة بكل قطر عربى وإسلامى ، ووصلت لجنة جمع المال الى باكستان هذا الشهر . ولست أخفى عليكم أننا فى حاجة الى عمل كثير نجدد فيه ثقة العالم العربى والإسلامى بعد أن علمته التجارب الأليمة الماضية أن يشك فى كل شىء » .

ثم قال تعليقاً على المؤتمر الإسلامى المسيحى :

لم نتردد فى تلبية الدعوة الى المؤتمر الإسلامى المسيحى الذى انعقد فى بحمدون لأننا بحكم الإسلام

لا نرفض يداً تمتد إلينا بدعوى التعاون ، وواجبنا فى سبيل تحقيق هذا التعاون أن نكون صرحاء فى إعلان مشكلاتنا فى مثل هذا المؤتمر وقد فعلنا ذلك وصارحناهم بكل شىء ، ونقلنا إليهم صورة كاملة عن شكوك الناس فى غايات هذا المؤتمر ، وعن سخرية الناس بكلمة التعاون فى وقت تبنى فيه السياسة الغربية بكلتا يديها « إسرائيل » .

وقلنا لهم إن مثل هذا المؤتمر وإن كان غير سياسى فى طبيعته التى حددها فى كتاب الدعوة ، إلا أنه لا يمكن لأعضائه — مسلمين ومسيحيين — أن يتجاهلوا مبادىء العدل والكرامة والإنسانية التى امتهنتها الصهيونية فى فلسطين ، كما لا يملك إلا أن يقر بأن أشد أسباب الشقاء الذى يعانيه العالم هو ظلم القوى للضعيف واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، والتعاون يقتضينا أن نزيل كل هذه الأسباب فى الأفراد والجماعات وأن نكون أمناء فى ذلك . وقلنا لهم كذلك إنكم إذا كنتم تعتبرون الشيوعية خطراً عاماً فإننا نعتبر الصهيونية خطراً عاجلا بالنسبة لنا . ونعتبر القوة التى تظاهرها مسؤولة عما نعانيه . وموقفنا تحدده دائماً مصالحنا التى يجب أن نرعاها ، وقد كان أثر ذلك واضحاً فى قرارات المؤتمر .

ثم إن هناك شيئاً آخر كان هذا المؤتمر عوناً فى إعلانه وصريحاً فى ذلك ؛ وهو أن التعاون بين المسلم والمسيحى لا يكون بإخفاء كل منهما لدينه وتجاهله لشرائعه ولكن بمصارحة كل منهما للآخر بعقيدته ؛ فإن الدين هو الضمان الوحيد لنظافة الحياة . وقد كان مما قرره المؤتمر ألا يقتصر الدين على أماكن العبادة بل أن يمتد سلطانه إلى المدرسة والصحافة والاجتماع والسياسة ، ولعل ذلك يحل عقدة النفاق التى سهر السياسيون فى كل مكان على حمايتها ، وكانت نتيجته هذا التحلل والميوعة والعبث الذى نراه فى سائر أوضاعنا . والمسلمون من جانبهم حين يتمسكون بإسلامهم كاملا يتمسكون بفريضة الله فيه بحسن المعاملة بين المسلم وغير المسلم على قاعدة من الصدق المتبادل واحترام الكرامة والله يقول : « فاستقيموا لهم ما استقاموا لكم » .

هذا وقد حضر المؤتمر حوالى ٧٧ نصفهم مسلم والنصف الآخر مسيحى ، وكان من بينهم عدد من الشخصيات ذات المركز والنفوذ فى العالمين الإسلامى والمسيحى ، ومن المجموعة المسيحية نفر من مديرى الجامعات وأساتذتها ومن كبار قسس الطوائف المختلفة . واستمر انعقاد المؤتمر ستة أيام ألقيت خلالها بحوث ضافية فى موضوعات شتى تتصل بشئون الفرد والعائلة والمجتمع وتوجيه الشباب إلى التدين ، وتجنب المؤتمر الحديث حول الخلافات العقدية متوخياً المجالات التى يمكن فيها التعاون دون خلاف . كما تجنب فى قراراته التعرض للشيوعية بهجوم صريح رغم أن البرنامج المعد من قبل كان قد خصص يوماً كاملا للحديث والمناقشة حولها ، وسبب ذلك أن أغلب المجموعة الإسلامية — ومعها عدد من المجموعة المسيحية — رأوا فى التعرض للشيوعية اتجاهاً سياسياً لا يجوز للمؤتمر أن يتورط فيه ، كما لا يجوز لمصالح المسلمين أن تضار بسببه ؛ ومما قاله مندوبو الإخوان المسلمين فى المؤتمر : إن الخطر الأشد والمباشر بالنسبة للعالم الإسلامى الآن هو خطر الصهيونية ، وخطرها هو خطر استئصال كامل لشعب بأسره ، وإن دول الغرب المسيحية هى التى احتضنت الصهيونية وأقامت دولتها ولا تزال تحميها متحدية مشاعر المسلمين جميعاً ومضحية فى سبيل ذلك بصداقة العالم الإسلامى ، ثم إن التعاون الذى ينشده مثل هذا المؤتمر بين المسلمين والمسيحيين لا يمكنه أن يغفل كبرى مشكلاته وخاصة إذا كانت مشكلة تمتهن فيها الصهيونية المثل العليا التى أقرها كل دين . ومما قاله مندوبو الإخوان كذلك إن ظلم القوى للضعيف واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان لا يقلان خطراً عن الإلحاد فى تهديد سلام العالم وأمنه .

والذى لا شك فيه أن حضور مثل هذا المؤتمر يفيد من نواحى مختلفة ، منها إعطاء صورة حقيقية عن المشاعر الجديدة الحية فى العالم الإسلامى ، ومنها تبديد الصورة الخاطئة التى تصور الحركة الإسلامية فى العالم المسيحى بصورة التوحش والتعصب الأعمى والحقد الملح ، فإن مثل هذا اللقاء يعطى المندوبين المسيحيين فرصة للاتصال بدعاة الإسلام ، كما أنه يعين فى إطفاء حدة الخوف من الإسلام فى الرأى العام المسيحى وهذه خطوة لا بد منها فى طريق دعوة الإسلام ، على ألا يكون ذلك طمعاً على حساب المصالح الحقيقية للمسلمين ، ولا بغفلة نفرط بها فى شىء من عقيدتنا أو شرائع ديننا — ومما يدل على ما ذكرناه من فوائد المؤتمر من هذه الناحية ما قرره المؤتمرون حول الحاجة الماسة إلى تشكيل لجنة تتولى مكافحة المؤلفات التى شوهت حقائق الإسلام عمداً وبأسلوب غير كريم ، فقام بعض المندوبين المسيحيين بطلب معالجة المؤلفات التى ألفت عن المسيحية وحدث فيها مثل ذلك ، فأبدينا ترحيبنا بهذا إن وجد شىء منه !

وتكونت للمؤتمر لجنة تنفيذية من ١٦ عضوا أصليين ومثلهم احتياطيين فى حالة غياب أحدهم ، نصفها مسلم ونصفها مسيحى ، ومهمتها مواصلة العمل لتحقيق فكرة المؤتمر ، وتقرر أن تعقد دورة المؤتمر القادمة سنة ١٩٥٦ وينتظر أن تكون فى طهران .

* * *

هدفنا :

يؤمن المؤتمر الإسلامى المسيحى المنعقد فى بحمدون بأن من أسباب الخلاف الأساسى المتغلغل تخلف الناس عن الانتفاع بالقيم الروحية فى مختلف دياناتهم ، حتى لقد رأينا الأمم التى هى أقل تأثراً بنتائج ذلك التخلف قد وقع منها فى أحيان كثيرة ظلم القوى للضعيف ورأينا الأمم القوية قد اخفقت فى الاعتراف بحقوق الأمم الضعيفة واحترام أمانيها . وفى هذه المناسبة نعتقد نحن المؤمنين بالله تعالى وبوصاياه أنه أصبح لزاماً علينا مجابهة تيارات الإلحاد والمادية التى تتسرب إلى الجماعات والأمم .

وقد وضح المؤتمر أن هنالك ميداناً فسيحاً يمكن فيه تنمية التعاون بين ديانتى الإسلام والمسيحية ؛ فكلانا يعتقد بالله الواحد .

ونحن مع احتفاظنا كل التمام بعقائدنا الخاصة نقول بأنه من الممكن التعاون بيننا على انتهاج مسالك ناجعة نستطيع عن طريقها إيصال تعاليم ديانتينا وآدابهما لأجيالنا الخاصة الناشئة .

لذلك ، نحن المؤتمرين فى اجتماع عام فى اليوم السابع والعشرين من أبريل سنة ١٩٥٤ مسيحية ، الموافق للرابع والعشرين من شهر شعبان المبارك سنة ١٣٧٣ للهجرة ، أننا قد جعلنا من أنفسنا لجنة دائمة للتعاون الإسلامى المسيحى ، وأننا نعلن برعاية الله أننا سنعمل بلا هوادة فى جو الثقة والاحترام المتبادل لحقوق الآخرين على تدعيم التفاهم والأخوة بين المؤمنين بالديانتين الإسلامية والمسيحية .

* * *

قرار :

إننا نحن المجتمعين فى المؤتمر الإسلامى المسيحى العالمى الأول فى تاريخ العالم قد لمسنا لمس اليد المشكلات الخطيرة التى تكتسح المنطقة المنعقد فيها المؤتمر . إننا نستنكر أن عزق العدوان والاضطراب الأرض المقدسة ، وليس هناك مكان فى العالم أقل أمناً وسلاماً من موطن « أرض

السلام » والأقطار المجاورة المقدسة لدى « الإسلام والكنيسة المسيحية الأولى » أصبح يصيبها الفناء وعدم الاستقرار . واللاجئون العرب المطرودون من بيوتهم والمحرومون من ميراث آبائهم وأجدادهم مشردون فى الأصقاع . إن بؤس هؤلاء شديد الوطأة على قلوبنا وضمائرنا ، وقد تبدو للاجئين رسالة الرجاء التى تنادى بها والتعاون المشترك الذى ندعو إليه لبناء عالم أفضل سخرية وهم فى حالة اليأس والقنوط . وعلى رغم ذلك يدهشنا ما نراه فيهم من قوة العقيدة والخلق الذى يتصفون به أنهم جميعاً إلا القليل منهم لا يزالون على إيمانهم بالله وعلى اعتقادهم الراسخ بأن العدل والرحمة سينتصران أخيراً .

ونحن الذين شاهدنا نكبتهم نعاهدهم أننا سوف لا ننساهم ، وأننا عند رجوعنا إلى أوطاننا سنرفع أصواتنا منتصرين لهم ، وسنحث حكوماتنا والأمم المتحدة على اتخاذ اجراءات مسرعة لعودتهم إلى وطنهم والتعويض للذين لا يعودون ، وسنطالب أيضاً بحل هذه القضية على أسس من العدالة والحق تضمن استقرار السلام فى الأرض المقدسة حيث غلب عليها اليوم النزاع وسفك الدماء .

***

## تحرير الهند الصينية . . . وحلف جنوب شرق آسيا :

كان لسقوط معقل ديان بيان فو وأسر حاميته بعد حصار دام ٥٧ يوماً وقع الصاعقة على فرنسا وعلى معسكر الغرب ، خصوصاً أن المعقل سقط أثناء انعقاد مؤتمر جنيف لبحث مشكلتى توحيد كوريا وإقرار السلام فى الهند الصينية مما أضعف كثيراً من مركز مفاوضى الغرب حيال أقرانهم من الشيوعيين . . حتى لقد عد المعلقون سقوط المعقل هزيمة لفرنسا لا تقل عن تسليمها للألمان فى الحرب الأخيرة .

وبسقوط ديان بيان فو أصبح الطريق ممهداً أمام الوطنيين لتحرير بقية ولايات الهند الصينية ، وهذا أمر طبيعى ما لم تتدخل دول الغرب لشد أزر فرنسا فتدول الحرب كما حدث فى كوريا ، فإذا ما حدث هذا فإن الصين الشيوعية سوف تخوض الحرب سافرة إلى جانب الثوار . وعندئذ فإن انفجار برميل البارود وقيام الحرب العالمية يصبح أقرب إلى الحدوث من أى احتمال آخر .

ونرى أن الولايات المتحدة سوف لا تسمح بتحرير الهند الصينية ، فإن هذا لو تم لكان ضربة قاضية للنفوذ الأمريكى فى رقعة جنوب شرق آسيا التى يعيش فيها قرابة مائتى مليون من البشر ، ولأدى إلى حرمان معسكر الغرب من المواد الخام الهائلة التى تغلها الهند الصينية ، فنها يخرج قرابة أربعة أخماس محصول المطاط العالمى ، كما تحوى موارد ضخمة للحديد والنحاس والفحم ، وتنتج حاصلات الأرز والقطن وقصب السكر بوفرة هائلة ... فلا يتصور أن تدع هذه الحاصلات ، والخامات تخرج من يدى العالم الغربى إلى أيدى الوطنيين ثم إلى يدى الاتحاد السوفيتى ، ولعل هذا هو سبب اهتمام الولايات المتحدة بحرب الهند الصينية اهتماما لا نغالى إذا قلنا إنه يجاوز اهتمام فرنسا نفسها ... إذ الواقع أن فرنسا لم تكن تحمل العبء الحقيقى للحرب ، وهذا بفضل مئات الملايين من الدولارات الأمريكية التى تغدقها عليها ؟ فقد اعتمدت ١٠٠٠ مليون دولار عونا لفرنسا هذا العام ومثلها فى العام القادم ، وبفضل جنود الفرقة الأجنبية وجيوش المستعمرات الذين دفعت بهم فرنسا وقوداً بشرياً فى أتون المعركة لينالوا شرف الدفاع عن النفوذ والحضارة الفرنسية — ومنهم عشرات الألوف من إخواننا مسلمى المغرب العربى .

ولكن الولايات المتحدة رغم اهتمامها البالغ بمصير الهند الصينية فنظن أنها سوف تحرص على

الا تقع فيما وقعت فيه في الحرب الكورية عندما أرسلت الجيوش الأمريكية لتحارب الكوريين الشماليين ، فقد دفعت ثمناً باهظاً من الدم الأمريكى الغالى ، إذ أعلنت وزارة الحرب الأمريكية إحصاء يفيد أن عدد القتلى بلغ ٢٣ ألفاً وبلغ عدد الجرحى والمفقودين ١٠٦ ألفاً ! ولعل الأرقام الحقيقية أضخم من هذا بكثير ، وقد انزعج الرأى العام الأمريكى لهذه التضحيات ، واستغل أيزنهاور هذا الشعور في حملته الانتخابية فوعد الناخبين بوقف الحرب الكورية بمجرد وصوله إلى البيت الأبيض . وقد كان ، وثمة سبب آخر يدعو أمريكا لئلا ترسل بجنودها إلى الهند الصينية ، وهو أن تكاليف الجندى الأمريكى من حيث الغذاء والملبس والمرتب فضلا عن تكاليف سفره من بلاده إلى ميدان الحرب تزيد كثيراً من تكاليف الجنود الآخرين من أبناء الشعوب المتخلفة ، ولم يكتم المسئولون الأمريكيون هذا الاعتبار فقد صرحوا في صدد الدفاع عن مشروعات المعونة العسكرية أمام الكونجرس بأن هذه المعونة تتيح لأمريكا أن تجهز جيوشاً صديقة تعمل تحت قيادتها يتكلف الجندى فيها عشرة دولارات(١) . . وفعلا أفلح هذا المنطق العارى في انتزاع موافقة الكونجرس الأمريكى ... ومن أجل هذا الاعتبار « الاقتصادى » تسعى الولايات المتحدة الآن جاهدة إلى تكوين حلف من دول جنوب شرق آسيا بالاشتراك مع بريطانيا وفرنسا ، فأوفدت وزير الدفاع الأمريكى « شارلز ولسون » والجنرال « جان فليت » المبعوث الشخصى لأيزنهاور للطواف ببلاد الشرق الأقصى لمساومة الحكومات على عقد صفقة توريد قطعان من الجند الأسيوى لميدان المعركة مقابل ثمن مناسب من الدولارات والمعدات الحربية .

ويبدو أن بريطانيا لا تجد مصلحة لها في التورط في حرب الهند الصينية بعد أن ذاقت بعض وبال الحرب الكورية ، ومن هنا لم يرحب تشرشل بدعوة أيزنهاور لاشتراك بريطانيا في الحلف المنشود بحجة الانتظار لما يسفر عنه مؤتمر جنيف من نتائج ، وأتى الرد من واشنطن يحمل حنق أيزنهاور ، فقد صرح بأن حلف المحيط الهادى سوف يقوم ولو لم تشترك فيه بريطانيا !... والواقع أن بريطانيا معذورة في موقفها .. فقد خرجت من الحرب الأخيرة محطمة ومهدمة ومدينة بأربعة وعشرين ملياراً من الدولارات ، بينما خرجت الولايات المتحدة من الحرب وقد ارتفع إنتاجها الصناعى ٤٠٪ عن إنتاجها سنة ١٩٣٩ ، وارتفعت قيمة صادراتها من مليار واربعمائة مليون دولار قبل الحرب إلى خمسة عشر ملياراً من الدولارات . . أى أن الاقتصاد الأمريكى تنعشه الحروب وتؤذيه فترات الهدوء والسلام ، ذلك أن الحروب تستوعب الإنتاج المتكدس الذى لا يجد تصريفاً ، وتوجد عملا لملايين العمال المتعطلين . . وهذا الفارق بين مركزى أمريكا وإنجلترا الماليين يفسر لنا مشكلة الخلاف بينهما التى تتضح معالمها من وقت لآخر ، والتى من أبرز مظاهرها اعتراف بريطانيا بالصين الشيوعية رغم أنف الولايات المتحدة ، وممارستها وإياها تبادلا تجارياً واسع النطاق ، وإيفادها بعوثاً تجارية إلى الاتحاد السوفيتى والدول التابعة له ، وغير هذا كثير مما ينبىء عن ضيق بريطانيا بالوصاية الأمريكية المفروضة عليها . . حتى لقد ذهبت صحيفة أمريكية إلى القول بأن بريطانيا لم تعد حليفة للولايات المتحدة .. ذلك أنها تعرقل خطط السياسة الأمريكية في الشرق الأقصى ... وهذا القول صحيح إلى حد كبير .

***

(١) وشبيه بهذا ما تفعله فرنسا من تحديد مرتب الجندى في الفرقة الأجنبية على أساس وزنه ، فكلما زاد عدد الكيلو جرامات التى يزنها كلما زاد مرتبه ! !

## وصاية أمريكا :

تضمنت الأنباء الخارجية خبرين فى وقت واحد لهما مغزى واحد .

فقد احتجت الحكومة الأمريكية لدى حكومة لبنان وهددتها بقطع العون الفنى عنها لأنها رخصت لتاجر لبنانى أن يبيع ناقلى بترول لبولندا ، وقالت إن لبنان تلتزم بحكم اتفاقية المعونة الاقتصادية التى تتلقاها منها بألا تتعامل مع دول الكتلة الشرقية فى المواد الاستراتيجية ، وهى المواد التى ينتفع بها فى المجهود الحربى .

واحتجت الحكومة الأمريكية أيضاً لدى دولة جواتيمالا بأمريكا اللاتينية لأنها استوردت شحنة من الأسلحة من إحدى دول التكتل السوفيتى وهى بولندا .

يحدث هذا فى الوقت الذى تزاول فيه بريطانيا — شريكتها فى زعامة العالم الحر — التبادل التجارى على نطاق واسع مع دول الكتلة الشرقية وخصوصاً الصين الشيوعية ويشمل التعامل سلعاً « استراتيجية » .

ومن هنا نرى أن الولايات المتحدة تهدف من وراء ضروب المعونة التى تقدمها للدول « المتخلفة » إلى ربط هذه الدول بعجلتها وفرض وصايتها على هذه البلاد التى لم تبلغ بعد رشدها السياسى والاقتصادى ، فتنفذ مشيئتها بشئونها الداخلية ، وتحجر عليها أن تتعامل تجارياً مع غيرها ، وتفرض عليها سلعها بقوة الاحتكار العالمى الذى تمارسه ، وتقتضى منها الثمن الذى تراه دون أن تخشى أى منافسة .

إن احتجاجها لدى لبنان درس أتى فى الوقت المناسب نسوقه إلى الحكومات العربية التى تورطت والتى تزمع التورط فى الأحلاف والمعونات الأمريكية ... وإن على حكومة لبنان أن تصمد أمام التهديد ، حتى لا تظفر الولايات المتحدة بإقرار هذا المبدأ الخطير الذى يضعنا فريسة للاحتكار الأمريكى الذى يسيطر عليه يهود « وول استريت » .

أما مسألة أسلحة جواتيمالا فإن لها دلالتها الكبرى بالنسبة للعرب وقضية فلسطين بالذات : ذلك أن الولايات المتحدة خلقت إسرائيل وزودتها بالسلاح والدولار حتى وقفت على قدميها أمام الجيوش العربية التى كانت محرومة من السلاح والمال ، وحتى أصبحت إسرائيل قوة عدوانية ضخمة تحاول أن تنطلق من حدودها لتوسع رقعتها على حساب العرب الذين ما زالوا فى فقر من السلاح ، ولما كانت أمريكا والعالم الغربى يشترط لتقديم العون العسكرى للعرب ألا يستخدم ضد إسرائيل ... فلا مفر إذن لنا من أن نجلب السلاح للدفاع عن بلادنا ومقدساتنا من أى دولة ترضى أن تصدر لنا السلاح .. ولو كانت من دول الكتلة السوفيتية !

إن الولايات المتحدة تحاول أن تحتكر السوق العالمى مستهدفة من وراء ذلك إلى أن تفرض سياستها ونفوذها على الدول الصغيرة غير المتطورة ، ومن جهة أخرى الى أن تجنى أرباحاً ضخمة كنتيجة حتمية لتحكمها فى السوق ، فتعوض بذلك ألوف الملايين من الدولارات التى تنفقها فى جنون فى أغراض التسليح .

# أخبار متفرقة

* صدرت مجلة « الإخوان المسلمون » الأسبوعية ، وهي المجلة التي انتظرها العالم الإسلامي طويلا ، ويرأس تحريرها الأستاذ الفاضل سيد قطب و « المسلمون » ترجو للأخوان العزيزة كل توفيق في أداء رسالتها الجليلة وفي تحقيق الآمال الكبيرة فيها .

* استقر الرأي لدى الحكومة السورية على محاكمة أديب الشيشكلي رئيس الجمهورية الانقلابية الأخيرة وأعوانه من العسكريين والمدنيين أمام محكمة خاصة من تهمة اغتصاب السلطة وإشاعة حكم الإرهاب العسكري ، والزج بالجيش السوري في معترك السياسة ، ومصادرة الحريات الأساسية للشعب السوري كحرية الصحافة وحرية المنابر وحرية الاجتماع ، وفتح السجون والمعتقلات لمعارضيه في الرأي . .

وقد طلبت الحكومة السورية من الحكومة الفرنسية أن تسلم إليها الشيشكلي الذي لاذ بها باعتباره مجرماً عادياً .

والمعروف أن أمريكا كانت وراء حركة الشيشكلي الانقلابية .

* أعلنت إدارة العمليات الخارجية الأمريكية أنها تعتزم أن تقدم إلى مصر في السنة المالية القادمة مبلغ أربعة ملايين و ٤٠٠ ألف دولار بمقتضى مشروع النقطة الرابعة ؛ تحقيقاً لرغبة الحكومة المصرية في الإفادة من الخبرة الأمريكية !!

* ينظر البرلمان الليبي قريباً في إقرار معاهدة عسكرية مع الولايات المتحدة تخول لها إنشاء قواعد عسكرية مقابل دفع مبلغ سنوي يقدر بعشرة ملايين ونصف مليون دولار . . وهو نفس القيمة التي تدفعها بريطانيا سنوياً لليبيا .. ويذكر أنه قد جرت محادثات في هذا الشأن بين المسئولين في ليبيا ومستر نيكسون عند زيارته لليبيا في العام الماضي ، ولكن المسئولين الليبيين نفوا استعدادهم لمنح قواعد عسكرية لأمريكا ... والدور الآن على فرنسا !!

* أبرمت حكومة الأردن اتفاقاً مع الولايات المتحدة الأمريكية يتضمن منحها عوناً اقتصادياً . . ومن الطريف أن حكومة الأردن « تبرعت » لحكومة ليبيا بمبلغ ألف جنيه مساعدة لها لموازنة ميزانيتها ؟!

* دعا الملك سعود إلى عقد مؤتمر للدول الإسلامية للبحث في تقديم العون العسكري للقوات العربية في منطقة فلسطين ، وسيعقد المؤتمر بالقدس في موعد لم يحدد بعد ، وسيبحث المؤتمر مشكلة فلسطين بأكلها مستهدفاً توحيد رأي العالم الإسلامي إزاءها .

* أكدت الدوائر الإسرائيلية صحة ما ذاع من أنباء تفيد أن إسرائيل قد حولت مسجد النبي داود عليه السلام القائم على جبل صهيون بالقدس إلى معبد يهودي ، وقد أخطرت وزارة الخارجية الأردنية هيئة الأمم المتحدة والبابا ودول الغرب بالحادث .

* قال يعقوب هيزوني أحد المتهمين بنسف السفارة الروسية وعضو إحدى الجماعات السرية الصهيونية أثناء محاكمته أمام محكمة تل أبيب العسكرية : إن الأسلحة التي ضبطت لدى جمعيتها للدفاع عن القدس ، ذلك لأنه لا يمكن أن تقوم إسرائيل بغير القدس كما أنه لا يمكن أن يعيش إنسان بغير قلب !

Islam does not favor the destruction of one evil if the result is merely to bring froth a more serious one.

In regard to the question of minorities, Islam had solved it more than thirteen centuries ago. We have already shown how Islam had destroyed religious intolerance and had imposed upon the Muslims the duty of protecting freedom of belief and of worship for non-Muslims in the Islamic homeland. It thus established a universal and open society for all faiths and races, in which all enjoy freely their own convictions and exercise what is known today as questions of personal status in accordance with their own faiths and before their own courts unless they deem it in their better interest to be for an Islamic court. What has happend is that a majority had preferred the rules of the Islamic Shariah and especially in questions of inheritance.

There remains transactions; in this sphere Christianity has provided no texts on provisions. The Muslims, therefore, conform to the Shariah in this regard as a religious duty, while non-Muslims accept it as a secular law.

It is probably better that Muslims regard it as a religious duty because evasion of the law would thereby be reduced.

* * *

I have outlined the Islamic doctrines for the implementation of which the Muslim Brotherhood are striving in the Islamic homeland regardless of geographic or other barriers. For the Islamic homeland in its entirety is an indivisible unity according to Islam.

As a matter of facts the Muslim Brotherhood are no longer a local organization in Egypt or in other Islamic countries. They have become the symbol of an idea: the idea of a general Islamic revival and the restoration of Islam with a view to continuing on this earth the principles upon which it was originally based under the guidance of Muhamad ibn Abdillah, upon whom be peace.

---

ورد فى مقال «برنامجنا الاقتصادى» خطأ فى الكلمات الإنجليزية ، الأولى ص٤٩
كتبت Hoardiup وصحتها Hoarding والثانية ص ٥٤ كتبت Ecerwmé order
وصحتها natural Economic Order .

*Facts About*

# THE MUSLIM BROTHERHOOD

## (4)

The usury syetem inflicts an injustice upon the borrower of money for productive purposes, because it always places him in a weaker position vis-a-vis the money-lender. The latter always stands to gain from all the loan transactions because his profit is assured. The borrower on the other hand may gain or lose. By mathematical calculation it becomes apparent that after a sufficient number of such transactions, all the gains pour into the honds of the money-lender and the efforts of the producer go unrewarded. The result is the accumulation of capital in a few hands, and the deprivation of most of the inhabitants of the their share, reducing them to the level of mere wage earners.

During the last five centuries this frightening result had almost been realized, and money made its way to the coffers of the few money-landers in the world. Unless humanity destroys this unjust and distorted system it will be fatally devoured by it and fall an easy prey to the world money-lenders. This is what Islam had desired to avoid thirteen centuries ago before humanity had been alerted to this danger.

We need not dwell upon the colonial wars arising from the present interest-rate system. Russia has done away with it and Germany was on the way of dispensing with it before her defeat in the last war. The system had not escaped criticism from such economists as Harrod and Shackles and Hicus.

When there is a sufficient determination to save humanity from this anathema, economists will not find it impossible to base the world economy upon some other basis, which will establish a direct link between capitalists and producers in a joint and direct enterprise through companies, but excluding the intermediary-namely banks. All transactions, however, which lend themselves to gains or losses and in which there is no fixed profit are non-usury enterprises approved by Islam. In the course of establishing this sound and interest-free economy, Islam does not object to the necessary transition period for readjustment and consolidation.

are the door for all guests coming from outside. The first glance is the first knock. Your innerself, with its two parts, clay and spirit, is always ready to receive its guests ..... and each of its parts can taste its knock. It is in the first knock that the soul must be helped. Its weakness is often apt to make it fall. It is then your duty to keep it away from any trap. Do not try to teach it how to swim across the waves of evil. It is a very difficult job, if not impossible to be achieved. There is every possibility that it might be drowned in the attempt. Do not look to the left and say to your soul: "Towards the right is your way". Your look is nearer to your soul than your words. Your soul is much more magnetic and much more clever than you are disposed to think. "Look! look! Nothing in it. Don't be so weak." Your soul will say, and you will simply obey. Then will you hear it whispering "Deal with it, I will help you. Enjoy its goodness and retain self-control over the rest" ...... As you have obeyed the first piece of advice you will find it difficult to disobey the second ...... for you have already contacted it with the cunning evil through your first look. It taught you how to obey in the first step, and you offered it its sharp arm for the second. Guide your eyes if you are serious to guide yourself, and captain your first glance to repress the muddy notions in your cunning soul. A man is but a man my dear. God says:

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا .

"We had already beforehand taken the covenant of Adam, but he forgot; and we found on his part no firm resolve."

It has been since Adam that we have been sent down to earth. It has been since then that the struggle with the Devil became the subject of life, which needs to be waged with full care and extreme caution in order that we might return once again to our first abode, the eternal blissful-home. To the righteous soul on the Last Day will be said:

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي .

"O thou soul in complete rest and perfect contentment! Come back thou to thy Lord, well pleased thyself and well pleasing thou unto Him. Enter, thou, then, among My bondmen. Yea, enter thou My Heaven."

*(to be continued).*

# WHAT ARE YOU ?

*By the Editor*

— 6 —

## Change Companion

And in your very start, my dear, try to have some surroundings that can help you to march on and to keep clean. It is almost impossible for a single person to struggle alone among these huge waves of evil crushing from all directions and tempting beyond measure. A pure companion near you can help you great deal. He will be a living advice with a sweet atmosphere. God says to His Apostle, peace be on him, in the Holy Quran:

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا.

"And keep thy soul content with those who call on their Lord morning and evening, seeking His Face, and let not thine eyes pass beyond them to those who are seeking the pump and glitter of this life; nor obey any whose heart We have permitted to neglect our rememberance, who follows his own desires, whose case has gone beyond all bounds."

The teaching that this Quranic injunction imparts to every believer is that he has to search for a society in temperamental harmony with the pure life he intends to have. Nothing can be more harmful than a bad fellow who is always a dangerous fungus in which evil can find a hot-bed to produce all manner of insinuating attraction to which one automatically falls victim in the due course of the devil's scheme. That is why you see that God had said in the previous injunction: "Let not thine eyes pass beyond them". Mark; He has not said "thine soul" but "thine eyes", and of course we cannot say it is a sort of exaggeration, because God never exaggerates. The fact behind this is certainly true. It reveals the masterly grasp of our innermost psychology exercised by the Creator Who knows best what He created. It tells that the eyes

بسم الله الرحمن الرحيم

# محتويات العدد السابع




مطابع دار الكتاب العربي بمصر